

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف و الترجمة، بنارس

المجلد (٤٥)	محرم الحرام ١٤٣٥ھ
العدد الحادي عشر	نوفمبر ٢٠١٣ م

المشـرف العام
عبـد اللّه سعـود بن عبـد الوحيد

رئيس التحريـر
أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	**صـوت الأمـة:** بی ١ / ١٨ جی، ریوری تالاب، بنارس، الهند The Editor, Sautul Ummah B-18/1-G, Reori Talab, VARANASI - 221010 (INDIA)
☆ تـرسـل شيـكات الاشتراک بهذا الاسم:	**دار التاليف والترجمة** Name: **DARUT-TALEEF WAT-TARJAMA** Bank: **ALLAHABAD BANK**, Kamachha, VARANASI A/c No.: **21044906358** IFSC Code: **ALLA0210547**
☆ الاشتراک السنوي:	في الـهـند (١٥٠) روبيــــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخــة (١٥) روبيــة

موقع المجلة على الانترنت: www.sautulummah.org

محـتــويــــات الـعـــدد

العنـــــــوان | الصفحـة

الافتتاحية

المحدث الشيخ أبو الحسن عبيد الله الرحماني المباركفوري رحمه الله
مؤلف مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح
حياته وأعماله

(٩) أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

كان كاتب هذه السطور قد بدأ في الكتابة عن حياة وأعمال الشيخ المحدث عبيدالله بن عبد السلام الرحماني المباركفوري – رحمه الله – مؤلف مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، وقد تم نشر (٨) حلقات من هذه السلسلة. وذلك ابتداء من عدد شهر ذي القعدة ١٤٢٩ هـ = نوفمبر ٢٠٠٨ م من هذه المجلة. ثم حالت الظروف دون مواصلة هذا العمل، ومضت الشهور ثم السنون، وكثر طلب القراء لإكمال المسيرة، فاستعنت بالله وتوكلت عليه لاستيناف الكتابة في الموضوع، سائلا المولى القدير أن يوفقني للتمام، ويجنبني الزلل والنقصان.

وقد اشتملت الحلقات المنشورة على ذكر موطنه، ومولده، ونشأته، ودراسته، وحياته الاجتماعية، وأسفاره، واشتغاله بالتدريس.

اشتغاله بالتأليف:

سبق أن عرفنا أن الشيخ – رحمه الله – كان قد اختير لمساعدة الشيخ المحدث أبي العلى محمد عبد الرحمن المباركفوري في إكمال شرحه على جامع الترمذي المسمى بتحفة الأحوذي، وذلك لما كف بصره في آخر حياته رحمه الله. فمكث الشيخ عبيد الله الرحماني عند شيخه عبد الرحمن المباركفوري لمدة سنتين، وبذل جهودا مضنية في إكمال هذا الشرح العظيم بإشراف ورعاية المؤلف رحمه الله. وقد كان مدير مدرسة دار الحديث الرحمانية الشيخ عطاء الرحمن أوفده إلى الشيخ عبدالرحمن

على طلب منه، وقرر أن الشيخ يتناول رواتبه من قبل المدرسة في هذه الفترة، ثم يرجع إلى عمل التدريس في المدرسة بعد إتمام الشرح.

وقد ذكر الشيخ عبيد الله في تعليقه على كتاب والده "سيرة الإمام البخاري" وهو يعدد خصائص كتاب تحفة الأحوذي ما نصه:

"وقد احتاج حضرة شيخنا بعد الفراغ من تبييض المجلدين الأولين إلى من يساعده في تسويد وتبييض المجلدين الآخرين [1]. وذلك لضعف بصره. ويقول كاتب هذه الأسطر من باب التحديث بالنعمة أنه تشرف ببقاء سنتين كاملتين في صحبة الشيخ لتسويد وتبييض المجلدين الآخرين، كما حصل ذلك الشرف والفضل للفاضل العلامة عبد الصمد المباركفوري، وأخي في الله المولوي محمد المهموي اللاهوري. فالحمد لله على ذلك". [2]

ويقول الشيخ أبو الفضل عبد السميع المباركفوري في ترجمة مؤلف تحفة الأحوذي:

"قد صار شيخنا رحمه الله في آخر عمره ضريرا .... وكمل المجلدين الأخيرين (والكتاب كله كان في أربع مجلدات في الطبعة الأولى الهندية) من شرح جامع الترمذي في حالة الضرارة بمساعدة تلميذيه الشيخ عبيد الله والشيخ عبد الصمد المباركفوريين، فكان يلقي عليهما ما يريد أن يكتب في شرح الأحاديث من المباحث السامية والفوائد البديعة الإسنادية والمتنية حتى كمل هذا السفر المبارك في حياته الميمونة السعيدة .." [3].

يجدر بالذكر أن مؤلف التحفة – رحمه الله – كان قد ساعد الشيخ شمس الحق العظيم آبادي في شرحه على سنن أبي داود المسمى بغاية المقصود، وكذلك عون المعبود. وفي ذلك يقول الدكتور عبد العليم عبد العظيم حفظه الله:

---

[1] صدرت الطبعة الأولى للكتاب في الهند في أربع مجلدات كبيرة من القطع الكبير. ثم توالت طبعاته من مطابع بيروت والمدن العربية الأخرى في (١٢) مجلدا من الحجم المتوسط بما فيه المقدمة في مجلدين.

[2] سيرة الإمام البخاري، ص: ٤١٤، طبع الجامعة السلفية، بنارس. وانظر أيضا: حياة المحدث شمس الحق وأعماله لمحمد عزير شمس، ص: ٣١٦ – ٣١٧.

[3] مقدمة تحفة الأحوذي: ٢ / ٥٤٩.

"وفي هذه الفترة لما أراد العلامة المحدث الشيخ شمس الحق العظيم آبادي تأليف شرح لسنن أبي داود استدعى العلامة المباركفوري لمساعدته في الأبحاث العلمية الحديثية والفقهية وغيرها من الأبحاث اللازمة للشرح، فمكث الشيخ عنده نحوا من أربع سنين، من سنة (١٣٢٠ هـ) إلى (١٣٢٣ هـ) وأسهم في إعداد "غاية المقصود شرح سنن أبي داود" وملخصه "عون المعبود في شرح سنن أبي داود" [(١)].

ولا شك أن مثل هذه المساعدة فرصة ثمينة لاكتساب خبرة البحث والتحقيق، وللتمرين على إنجاز الأعمال العلمية أكثر من كونها مجرد مساعدة. ولا يستبعد أن يكون هذا العمل دافعا وحافزا على الدخول في هذا الميدان لكل من الشيخين في زمنهما، حيث تشجع الشيخ عبد الرحمن على تأليف شرح لجامع الترمذي، وتشجع الشيخ عبيد الله على تأليف شرح لمشكاة المصابيح.

والشيخ عبيد الله – رحمه الله – في أثناء عمل التدريس بالرحمانية لم يلتفت إلى عمل التأليف والتحقيق، وذلك لبذل كافة جهده ووقته في تدريس المواد المقررة والإعداد لها، وكذلك في الرد على الاستفسارات والاستفتاءات التي كانت ترد إلى المدرسة وإلى مجلتها "محدث" إلى جانب الاستفسارات العامة التي ترد إلى الشيخ نفسه من مختلف أنحاء الهند. وقد صدرت بقلمه – في هذه الفترة – بعض المقالات والبحوث التي نشرت في مجلة "محدث" والمجلات الأردية الأخرى إلى جانب فتاواه الدينية. ولم يبدأ في كتابة شرح المشكاة إلا بعد الانعزال عن التدريس، وفي التفرغ التام عن كثير من الأعمال من هذا القبيل. ثم إننا نجد أنه وإن لم يؤلف كتابا مستقلا غير المرعاة إلا أنه أسهم في مراجعة وإصلاح عدد من الكتب الأردية والعربية، نذكر منها:

تعليقه على سيرة الإمام البخاري:

كان كتاب والده هذا قد طبع في عام ١٣٢٩ هـ، وتوفي والده بعد ذلك بثلاث عشرة سنة، أي في عام ١٣٤٢ هـ. وقد تلقاه أهل العلم بيد القبول وقدروه حق قدره،

---

(١) فوائد في علوم الحديث وكتبه وأهله (وهو الباب الأول من مقدمة التحفة) تحقيق: د. عبد العليم عبد العظيم، المقدمة، ص: ٣٤.

ونفدت الطبعة الأولى بعد مدة قصيرة من صدورها، ثم إن الظروف المادية لأبناء المؤلف حالت دون إعادة طبع الكتاب إلى أن يسر الله طبعه للمرة الثانية في عام ١٣٦٦ هـ، وقد قام الشيخ عبيد الله الرحماني نجل المؤلف بمراجعة الكتاب وكتابة تعليقات مفيدة عليه. يقول الشيخ الرحماني في تقديمه للكتاب في الطبعة الثانية:

"لقد بذلنا أقصى ما يمكن من جهد – في حدود الاستطاعة البشرية – في تصحيح الأخطاء المطبعية التي كانت توجد في الطبعة الأولى، وإن شاء الله ستكون هذه الطبعة خالية من الأخطاء، كما قمنا بإضافة بعض التعليقات، أو ذكر المراجع مما لم يكن يوجد في الطبعة الأولى، ولكن مع مراعاة أن لا تختلط هذه الزيادة بكلام المؤلف، اللهم في موضع أو موضعين قمنا ببعض التغيير في تعليقات المؤلف لمسيس الحاجة إليه، كما وضعنا فهرسا شاملا للمباحث والموضوعات، لأن المؤلف كان يضع عنوانا، ثم يذكر تحته أمورا كثيرة مما يمكن أن يذكر بعناوين فرعية ..." [(١)].

يجدر بالذكر أن فضيلة الدكتور عبد العليم البستوي، أحد خريجي الجامعة السلفية، الباحث في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة قام بتعريب هذا الكتاب وإدخال تعليقات نافعة عليه – جزاه الله خيرا ومتعه بالصحة والعافية – وصدرت للترجمة العربية أيضا عدة طبعات من الجامعة السلفية وخارجها، كما ترجم الكتاب إلى اللغة الانجليزية بيد الأستاذ محمد رفيق خان، وتم نشره من الجامعة السلفية.

مراجعته لمقدمة تحفة الأحوذي:

كان الشيخ عبد الرحمن المباركفوري قد وضع هذه المقدمة، ولم يتمكن من مراجعتها وإعادة النظر فيها حتى أعجلته المنية. فقام الشيخ عبد الصمد المباركفوري – بإلحاح من أسرة المؤلف – بالمراجعة وإتمام بعض المباحث. كما قام الشيخ عبيد الله الرحماني أيضا بمراجعة أكثر أجزائها. وفي ذلك يقول الشيخ أبو الفضل عبد السميع المباركفوري في مقدمة الناشر للطبعة الأولى من الكتاب:

---

(١) مقدمة الطبعة الثانية للكتاب، ص: ٢٥ – ٢٦، طبعة الجامعة السلفية.

"ثم نشكر الفاضل البارع المحقق الأستاذ عبيد اللّه المباركفوري الرحماني، أحد أساتذة الحديث بمدرسة دار الحديث الرحمانية بدلهي، وتلميذ المؤلف، حيث سرّح فيه نظره قبل الطبع، فطالع الباب الثاني من المقدمة مستوعبا، ومن الباب الأول مواضع متفرقة" [1].

عزمه على الرد على كتاب آثار السنن للنيموي:

كتاب آثار السنن ألفه الشيخ ظهير أحسن النيموي الحنفي، وجمع فيه الأحاديث المؤيدة للمذهب الحنفي، كبديل لكتاب بلوغ المرام وغيره من الكتب الحديثية التي يرى المؤلف أنها ألفت لتأييد المذهب الشافعي والحنبلي. فقام الشيخ محمد عبد الرحمن المباركفوري بنقد هذا الكتاب والرد على ما جاء فيه من الطعون والتعليلات الباطلة للأحاديث الصحيحة المخالفة للمذهب الحنفي، وتصحيح وتحسين الأحاديث الضعيفة إذا كانت موافقة للمذهب. ولكن لم يتمكن الشيخ المباركفوري من إكمال الرد على الكتاب، بل رد على الجزء الأول منه فقط. فعزم الشيخ عبيداللّه الرحماني على إكمال هذا العمل، وراسل أستاذه الشيخ عبد الرحمن المباركفوري بهذا الصدد، وأطلعه على عزمه، ففرح الشيخ بذلك وشجعه عليه، وأشار إلى أهم المراجع، ووعده بالمساعدة إذا دعت الحاجة إلى ذلك، ولكن لم يتمكن الشيخ الرحماني من الدخول في هذا العمل، ويبدو أن أشغاله الكثيرة من التدريس والإفتاء وتحرير المجلة حالت دون القيام بهذا العمل. واللّه أعلم.

والكتاب مطبوع في الجامعة السلفية بتحقيق الأستاذ أبو القاسم عبد العظيم حفظه اللّه.

ومن آثاره العلمية القيمة أيضا:

إلى جانب ما ذكرناه من الأعمال العلمية – غير تأليف شرح المشكاة – هناك أعمال علمية له متفرقة في صورة مقالات وفتاوى، وكذلك في صورة الخطابات

---

[1] مقدمة تحفة الأحوذي: ٢ / ٥٥٣.

والرسائل التي وجهها الشيخ إلى معارفه ومحبيه. وقد تم جمع الكثير منها في مجموعات مستقلة وطبعها ونشرها للاستفادة منها. نذكر هنا من أهمها:

١ – نقوش شيخ رحماني (آثار الشيخ الرحماني) وهذا الكتاب عبارة عن الرسائل الموجهة من قبل الشيخ الرحماني إلى والدي الشيخ محمد الأعظمي في مختلف الموضوعات والمناسبات. يبلغ عدد هذه الرسائل (٣٤) رسالة، معظمها تحتوي على معلومات علمية قيمة وإجابات على أسئلة قدمها إليه الوالد حول موضوعات حديثية وفقهية واجتماعية.

تم طبع هذا الكتاب في عام ١٩٩٤ م بعد وفاة الشيخ بعدة أشهر، وهو في (٧٢) صفحة من القطع الصغير.

٢ – مكاتيب رحماني: مجموعة الرسائل التي وجهها الشيخ الرحماني إلى تلميذه الشيخ محمد أمين الأثري المباركفوري، المشتملة على (٥٩) رسالة، قام بترتيبها الشيخ رفيق أحمد رئيس السلفي، ونشرها جمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند، وذلك في ديسمبر عام ١٩٩٥م، في (١٦٠) صفحة من القطع المتوسط.

وهذه المجموعة كسابقتها تشتمل على معلومات علمية قيمة وفوائد حديثية وفقهية جمة، بقلم ذلك الحبر النحرير الذي نذر حياته لخدمة الحديث والدين الإسلامي، رحمه الله.

٣ – مكاتيب حضرة شيخ الحديث: وهي مجموعة الرسائل الموجهة من قبل الشيخ الرحماني إلى الشيخ عبد السلام بن محمد عباس الرحماني – حفظه الله وعافاه – وتشتمل على (١٢٠) رسالة، وهذه المجموعة أيضا من ترتيب الشيخ رفيق أحمد رئيس السلفي، نشرتها إحدى دور النشر في دهلي عام ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ م، وقد أفاد المرتب بأن هذه المجموعة تحتوي على أكثر من ستين مسألة فقهية وعلمية إلى جانب معلومات أخرى متفرقة، وقد أعد المرتب فهرسا لهذه المسائل، مما جعل الاستفادة منها سهلا ميسورا.

هذه هي المجموعات من رسائل الشيخ تم طبعها ونشرها إلى الآن، مع العلم بأن هناك مجموعة كبيرة من رسائل الشيخ الموجهة إلى شخصيات علمية هنا وهناك لم يتم جمعها وترتيبها ونشرها إلى الآن، منها على سبيل المثال: الرسائل الموجهة إلى الشيخ محمد فاروق الأعظمي حفظه الله ختن الشيخ الرحماني، وإلى الشيخ عبد الغفار حسن الرحماني تلميذ الشيخ ومن كبار علماء أهل الحديث في باكستان، رحمه الله، وإلى الشيخ عطاء الله حنيف البوجياني رحمه الله، وغيرهم من محبي الشيخ. فالشيخ رحمه الله كان مرجعا للعلماء والمستفتين، يوردون إليه أسئلتهم وإشكالاتهم، ويثقون بإجابته، وكيف لا، وقد كان يهتم بكتابة رد علمي موثوق، ويحيل إلى المراجع إذا دعت الحاجة إلى ذلك. وكان يعتبر الرد على الرسائل أمانة دينية وعلمية، يقوم به رغم ظروفه الصحية المضطربة وأشغاله العلمية الكثيرة. فنهيب بإخواننا الذين يحتفظون برسائل الشيخ قليلة كانت أو كثيرة أن لا يبخلوا عن نشرها وتعميمها، فهي في أيديهم أمانة، وهي محتوية على درر نفيسة وفوائد ثمينة ومعلومات نادرة، يستفيد منها الأجيال، بإذن الله جل وعلا.

٤ – فتاوى شيخ الحديث المباركفوري: قام حفيد الشيخ الرحماني الأخ فواز بن عبدالعزيز بن عبيد الله بجمع فتاوى ومقالات جده الشيخ الرحماني من مختلف المجلات والرسائل، ومن الرسائل الموجهة من قبل الشيخ إلى المستفتين المطبوعة منها والمخطوطة. والأخ فواز من خريجي الجامعة السلفية، بنارس، وقد اختار لنيل شهادة العالمية من الجامعة موضوع: "الشيخ عبيد الله الرحماني المباركفوري: حياته وخدماته وجمع فتاواه ومقالاته المنشورة في مجلة محدث، دهلي"، فأعد مجلدين ضخمين مشتملين على ما ذكر. ثم إنه واصل العمل، فكان يقوم بالبحث عن كل فتوى ومقالة للشيخ سواء كانت منشورة أوغير منشورة، ويهتم بجمعها وترتيبها على أبواب فقهية، وقد قامت جمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند بطبع هذه المجموعة القيمة في عام ١٤٣١ هـ = ٢٠١٠ م في مجلدين، المجلد الأول يحتوي على (٤٧٢) صفحة، والمجلد الثاني على (٥٥٠) صفحة.

نرجو أن الجمعية الموقرة تواصل طبع الأجزاء الباقية، وتبذل كل ما في وسعها لإيصال هذا التراث العلمي القيم إلى القراء والباحثين. ولا شك أن هذا العمل خدمة

للعلم والتراث من جهة، ومن جهة ثانية هو اعتراف وتقدير لجهود الشيخ، وصدقة جارية له بإذن الله تعالى.

٥ – رسالة بعنوان: حقيقة شهر الصوم وفضائله وأحكامه:

تم نشر هذه الرسالة في مجلة محدث الصادرة من دار الحديث الرحمانية، في المجلد الثالث، العدد الثامن، شهر رمضان المبارك ١٣٥٤ هـ الموافق لشهر ديسمبر ١٩٣٥ م. ثم طبعت فيما بعد عدة طبعات بصورة رسالة مستقلة من الجامعة السلفية ببنارس ومن جهات أخرى متعددة.

٦ – رسالة بعنوان: بيان الشرعة في محل أذان خطبة الجمعة:

٧ – حكم التأمين.

٨ – هل يرث ابن الابن عن جده.

٩ – الطلقات الثلاث.

١٠ – حكم الإسلام في الدوطة.

١١ – الوهابية والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

١٢ – القاضي فضيل بن عياض.

١٣ – السينما وأضراره.

هذه كلها (من رقم ٦ إلى رقم ١٣) مقالات نشرت في المجلات والجرائد، ثم طبع بعضها بصورة رسالة مستقلة ليعم النفع بها.

ولابد أن نذكر أن كل ما ذكر من الأعمال العلمية للشيخ الرحماني – رحمه الله – هو باللغة الأردية، لأنه كله موجه إلى الناطقين بهذه اللغة، إلا رسائل وإجابات معدودة خطها الشيخ باللغة العربية، إما لأن الأسئلة كانت بالعربية، أو لأنه كان على ثقة بأن المرسل إليه على معرفة جيدة بهذه اللغة وأساليبها.

وبعد هذا العرض السريع لأعماله العلمية المتفرقة نأتي إلى ذلك السفر العظيم الذي خلفه رحمه الله باسم: "مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" باللغة العربية. وسوف نتحدث عن هذا الشرح الكبير بشيء من التفصيل بإذن الله وتوفيقه وإعانته.

❖❖❖

أضرار الخمر

معالي الشيخ الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية بالرياض

من حكمة الله البالغة أنه لم يجعل شفاء أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيما حرّم عليهم، ذلك أن الشيء المحرم في شريعة الإسلام بيِّنٌ ضرره، ظاهرةٌ عاقبته الوخيمة على الجسد في الدنيا وعلى المجتمع قبل عقاب الآخرة، والخمر واحدة من المحرمات في تعاليم الإسلام بنص الكتاب الكريم (القرآن)، وبدلالة السنة، كما قال جل وعلا: {يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون} (المائدة: ٩٠ – ٩١).

ويقول صلى الله عليه وسلم: (كل مسكر حرام) رواه مسلم، وقال: (إن الله إذا حرّم أكل شيء حرم عليهم ثمنه)، رواه أبوداود. كما حرّم رسول الله التداوي بالحرام، فقد قال عليه الصلاة والسلام: (إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليهم)، وغير ذلك من الأدلة المؤكدة في حرمة الخمر العقلية والنقلية.

والخمر في اللغة: هي كل مسكر مخامر للعقل، مغط عليه، يقولون: خمر الشيء ستره.

وقد أصبحت الخمر رجسا من عمل الشيطان كما نصت الآية، لأضرارها على الجسم والنفس والمجتمع. ومادة التخمير هي تحوّل المادة السكرية إلى مواد كيماوية متعددة، في مقدمتها المادة الكحولية المسماة الغول (الإثيلين)، وسميت بذلك لأنها تغتال العقل، وتسيطر عليه.

والعقل هو ما شرف الله به الإنسان، ورفعه بين الكائنات الحية، حيث يميز به النافع من الضار، لذا سميت الخمر في الشريعة الإسلامية بأم الخبائث، واعتبرها العلماء من كبائر الذنوب، وجاء عليها الحكم الدنيوي الرادع بالزجر المؤلم، وفي الآخرة بالعقاب المخيف.

وسميت بأم الخبائث لأنها تقود الجسد البشري إلى أنواع عديدة من الجرائم، كان من الممكن تلافيها لو كان العقل سليما ومستشهدا بهدي الله، والحواس بعيدة عن أثر الخمر ومتجافية عما حرم الله. ولما كان الدماغ أكثر أجهزة الجسم وأسرعها تأثرا بالخمر، لأن المادة الكحولية تصل إليه مع الدم بسرعة، فإنه يثبطه عن العمل، فيختل التوازن في الجسم، ويغيب عن التركيز وإدراك الحقائق على وضعها، فيحدث من ذلك أضرار منها:

اصطدام السكران بسيارة، أو السقوط في نهر أو حفرة بسبب عدم التركيز، واضطراب الحركة، لذا فإن دول العالم تمنع قيادة السيارة للسكران، وتعاقبه على ذلك محافظة على السلامة لنفسه وللآخرين، ويكثر التدقيق على الطرق العامة وفي الإجازات بأجهزة صغيرة ودقيقة العمل سريعة النتيجة يحملها رجال البوليس معهم، ويجازون من لم يتقيد بالأوامر.

وبسبب فقدان التوازن الجسماني وضبط النفس تكثر من السكارى الاعتداءات والمشاجرات التي لا مبرر لها، ومن دون سبب، لأن من آثار الخمر عدم السيطرة على الأعصاب، أو الخضوع لنداء الحواس، وهذا أول مدخل من مداخل الجريمة.

يتحول الإنسان إلى عمل حيواني، حيث يحرص على ارتكاب الجرائم الجنسية دون تمييز، وقد يغتصب محارمه وبناته القاصرات، لأن الجهاز العقلاني المتحكم في التمييز قد فقد السيطرة عليه، وأصبح الموجه لهذا الإنسان الهوى والشيطان، وهذان يقودان إلى كل شر وما هو ضار، حيث أخبر صلى الله عليه وسلم بأن (المؤمن لا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن) لانتفاء الإيمان مع الإصرار على الخمر.

وقد أعطي السكران أحكام في الفقه الإسلامي تربطه بالمجنون في تصرفاته، فطلاقه غير واقع، وعطاؤه غير نافذ، فكيف يرضى المرء لنفسه اختيارا بهذا المصير؟ علاوة على الأضرار الجسمانية التي تلحق بجسمه من تلف المخ، وتليّف الكبد وتسمّم الدم، مما يسبب قتل النفس الذي حرمه الله بنص القرآن.

وتحدث الخمر أضرارا خطيرة للجسم، تقود إلى الوفاة، منها: التهابات في الرئة، وتليف الكبد، والمرض السكري، والغيبوبة، والعرضة للموت السريع بأعراض أخرى، أبانها الأطباء نتيجة للوقائع التي مرت بهم، وكذا مرت برجال الأمن وفقا للوقائع التي مرت بهم. وجسم بني آدم ملك لله، لا يجوز التعرض له بسوء.

ومنها إقدام متعاطي الخمر على جريمة القتل، وما أكثر ما نقرأ في الصحف من النماذج التي يقشعر منها البدن، وهذا ما يسميه المختصون الأهلاس المخيفة، كأهلاس الجريمة والخيانة والتهديد، التي تدفع الشخص إلى الانتحار. ومعلوم العقاب الشديد لمن يقتل نفسه، أو الجريمة. وعلى سبيل المثال تنشر الصحف يوميا جرائم بشعة، وعلى سبيل المثال نشرت بعض الصحف جريمة قتل مخيفة، تفاصيلها أن زوجا دخل بيته وهو في حالة سكر بعد منتصف الليل، فأقدم على قتل زوجته وأولاده الأربعة النائمين إلى جنبها، لأنه تبادر إلى عقله الذي غيبته الخمر أنها خائنة، وهذا من جنون السكارى الذي لا يُعدّ.

والأطباء قد عدوا أكثر من خمسين مرضا تصيب الإنسان من آثار الخمور، تتسبب في تلف أجزاء من الجسم كالخلايا والأعصاب وإنقاص قدرات باطنية وخفية في البدن، ومن أبرز ذلك:

تخلف في القدرة الذهنية في الفهم والاستيعاب نتيجة لأضرار.

إصابة أعصاب المخ وخلاياه بالمادة الكحولية المؤثرة.

اعتلال الأعصاب، حيث يحصل في الجسم إضراب حسي وحركي مع شلل موقت، وقد يستمر في الوجه واليد والرجل، مع ضعف عقلي وهزال وآلام في الأطراف. ومع أن الأعمار بيد الله إلا أن السكارى أقصر أعمارا وأكثر أمراضا.

ضعف البصر، وقد يؤدي إلى العمى، بتأثير الخمر والمادة الفولية المسكرة على أعصاب العين، مما يضعف القدرة على الإبصار والتركيز .. وصدق الله العظيم الذي حرمها على أمة محمد صلى الله عليه وسلم بآيات من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: {يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ....} (البقرة: ٢١٩).

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (اللهم أنزل لنا في الخمر قولا شافيا)، لأن حكمها جاء تدريجيا فأنزل الله الآية: {إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون} (المائدة: ٩١)، فقال الصحابة: (انتهينا انتهينا يا رب)، وهذا من طاعتهم وإيجابيتهم، فأهرقوا كل ما عندهم من دِنان الخمر، حتى قيل إن أسواق المدينة امتلأت مما أهريق فيها، وهذا من حرصهم – رضي الله عنهم – للاستجابة والامتثال للطاعة.

وفي الحدود الرادعة: جاءت زواجر وجزاءات لمن يتعاطى الخمر بعد ما جاء التحريم من الله سبحانه قطعا لدابر الضرر.

والله لا يحرم شيئا إلا لما فيه من ضرر. وزيادة عما مر بنا من أضرار الخمر فإن منها: أمراض الهضم، وهي كثيرة كالتهابات المريء الذي يتحول إلى السرطان وقرحات المعدة وتفشي سرطان المعدة والأمعاء والتهابات الجهاز الهضمي بأجزائه المختلفة وفقدان الشهية، التي ينتج منها الضعف العام.

كما أن تعاطي الخمر له تأثيرات في الكبد من تشمعها والتهابها وتضخمها، والتأثير في جهاز المناعة الذي موطنه الكبد، وهي أمراض متداخلة، انتشرت في البلاد

التي توسع تعاطي الخمور فيها وأطلق عنانها، حيث أحدثت أضرارا مخيفة وخيالية في الوفيات.

فمن تشمّع الكبد وحده جاء في إحصائية عن بعض الدول أن فرنسا يموت فيها سنويا (٢٢٥,٠٠٠ شخص)، وفي ألمانيا يموت فيها سنويا (١٦,٠٠٠)، وفي أمريكا ضعف هذا العدد، وفي كل عام يصدر عن منظمة الصحة العالمية أرقام دولية كبيرة في كل بلد من دول الغرب والشرق في أعداد المتوفين بالخمور، وهي عبرة للناس، يرونها في أنفسهم، لعلهم يرجعون إلى ربهم معرفة وعملا.

أما أمراض القلب وتشوُّه الأجنة عند الحوامل، وقلة النسل عند الرجال، والعقم عند النساء والرجال، وغير هذا من أمور كثيرة، فإحصائياتها كثيرة.

وهذه تأتي بأرقامها المخيفة وما تجنيه الخمور على البشرية من أضرار، فتبرز لمن يريدها في النشرات الصحية بدول العالم، فضلا عن النتائج الإجرامية التي تبرز عند رجال الأمن في كل مكان، إذ تفشت نتائج وأضرار الخمور في كل جهة، حيث أطلق العنان لكل من يريد الخمور ويتعاطاها، فتفشى هذا الداء الوبيل، وظهرت نتائج الأضرار لدى المتساهلين بهذا الداء الذي حرمه الله – جل وعلا – .

وقد جاءت تعاليم الإسلام بالعلاج الناجح لهذه المشكلة العويصة، وذلك بإسلام النفس لله. وقد زرع دين الفطرة في القلوب المعالجة، وهيأت التعاليم الرادعة الرغبة في الابتعاد عن الخمر وضررها. نسأل الله أن يحمي المجتمعات الإسلامية من الخمور وغيرها مما حرمه الله، حتى تسعد تلك المجتمعات بعلاج ناجح ومثمر مستمد من صيدلية الإسلام وما فيها من وصفات خيِّرة ونافعة.

ومن خلاصة القول في الخمر أنها معصية لله ولرسوله، وتُذهب العقل والمال، وتُسبب أمراضا عديدة، وتقود إلى الجريمة، وتفكك الأسرة، وغير هذا من الآفات، وإثمها أكبر من نفعها.

❖❖❖

صوم يوم الجمعة

الشيخ أبو الحسن عبيد الله الرحماني المباركفوري رحمه الله

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يصوم أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله أو يصوم بعده. (متفق عليه)

قوله (لا يصوم) كذا في جميع النسخ، وهكذا وقع في المصابيح، وكذا نقله الجزري في جامع الأصول (ج٧ ص ٢٣٧) عن مسلم بلفظ النفي: والمراد به النهي، والذي في صحيح مسلم: لا يصم بلفظ النهي، وكذا نقله الحافظ في الفتح والبيهقي في السنن (ج٤ ص ٣٠٢) ولفظ البخاري لا يصوم. قال الحافظ: كذا للأكثر، وهو بلفظ النفي والمراد به النهى، وفي رواية الكشميهني لا يصومن بلفظ النهي المؤكد (أحدكم يوم الجمعة) أي مفردا إلا أن يصوم قبله أي يوما (أو يصوم بعده) أي يوما كما في رواية النسائي، وللبخاري إلا يوما قبله أو بعده، أي إلا أن يصوم قبله، أو يصوم يوما بعده، وللإسماعيلي إلا أن تصوموا يوما قبله أو بعده، و "أو" لمنع الخلو، والمعنى أنه يكفي صوم أحدهما ولو صامهما جاز أيضا.

والحديث دليل على تحريم النفل بصوم يوم الجمعة منفردا، وعلى جواز صوم يومها لمن صام قبله أو بعده، فلو أفرده بالصوم وجب فطره كما يفيده ما أخرجه أحمد والبخاري وأبو داود من حديث جويرية أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها في يوم جمعة وهي صائمة، فقال لها: أصمت أمس؟ قالت لا، قال تصومين غدا؟ قالت لا، قال فأفطري، والأصل في الأمر الوجوب، والرواية الآتية تدل على جواز صومه لمن اتفق وقوعه في أيام له عادة بصومها كمن يصوم أيام البيض، أو من له عادة بصوم يوم معين كيوم عرفة فوافق يوم الجمعة، أو له عادة بصوم يوم وفطر يوم فوافق صومه يوم الجمعة.

واختلف الأئمة في إفراد يوم الجمعة بالصيام فذهب ابن حزم إلى تحريمه لظواهر الأحاديث الواردة في النهي عن تخصيصه بالصوم، ونقله أبو الطيب الطبري عن أحمد وابن المنذر وبعض الشافعية، وكأنه أخذه من قول ابن المنذر ثبت النهي عن صوم يوم الجمعة كما ثبت عن صوم يوم العيد، وزاد يوم الجمعة الأمر بفطر من أراد إفراده

بالصوم، فهذا يشعر بأنه يرى بتحريمه. ونقل ابن المنذر وابن حزم منع صومه عن علي وأبي هريرة وسلمان وأبي ذر. قال ابن حزم: لا نعلم لهم مخالفا من الصحابة.

وذهب الجمهور ومنهم الشافعي وأحمد وأبو يوسف وبعض الحنفية إلى أن النهي فيها للتنزيه. وقال مالك وأبوحنيفة ومحمد: بالإباحة مطلقا من غير كراهة، ذكره العيني وابن قدامة والحافظ وابن الهمام. قال مالك: لم أسمع أحدا من أهل العلم والفقه، ومن يقتدى به نهى عن صيام يوم الجمعة وصيامه حسن، وقد رأيت بعض أهل العلم يصومه وأراه كان يتحراه. قال النووي: السنة مقدمة على ما رآه مالك وغيره، وقد ثبت النهي عن صوم يوم الجمعة فيتعين القول به، ومالك معذور. فإنه لم يبلغه، قال الداودي من أصحاب مالك:: لم يبلغ مالكا هذا الحديث ولو بلغه لم يخالفه - انتهى.

قلت: ونص فروع المالكية كالشرح الكبير للدردير وغيره أنه يندب إفراد يوم الجمعة بالصوم، وبه قال عامة الحنفية، وقال بعضهم بالكراهة كما في البدائع والنهر والبحر والدر المختار وحاشية رد المحتار. قال عبد الوهاب المالكى: يوم الجمعة يوم لا يكره صومه مع غيره فلا يكره وحده، ورد بأن هذا قياس فاسد الاعتبار، لأنه منصوب في مقابلة النصوص الصحيحة. قال الحافظ والمشهور عند الشافعية وجهان أحدهما ونقله المزني عن الشافعي أنه لا يكره إلا لمن أضعفه صومه عن العبادة التي تقع فيه من الصلاة والدعاء والذكر. قلت: وإليه ذهب البيهقي والماوردي وابن الصباغ والعمراني. والثاني وهو الذي صححه المتأخرون كقول الجمهور: قلت: وبه جزم الرافعي والنووي في الروضة.

وقال في شرح مسلم: أنه قال به جمهور أصحاب الشافعي وممن صححه من المالكية ابن العربي إذ قال وبكراهته يقول الشافعي وهو الصحيح. واستدل لمن قال بندبه بما سيأتي من حديث ابن مسعود، وفيه قلما كان يفطر يوم الجمعة. وبما رواه ابن أبي شيبة من حديث ابن عمر قال ما رأيت رسول الله ﷺ مفطرا يوم جمعة قط. وبما رواه أيضا من حديث ابن عباس قال ما رأيته مفطرا يوم جمعة قط، وفي سندهما ليث بن أبي سلم. وقد تقدم الكلام فيه. وأما حديث ابن مسعود فقال الحافظ في الفتح: ليس فيه حجة، لأنه يحتمل أن يريد كان لا يتعمد فطره إذا وقع في الأيام التي كان يصومها، ولا يضاد ذلك كراهة إفراده بالصوم، جمعا بين الحديثين. وقال في التلخيص (ص ١٩٩) قال ابن عبد البر: لا مخالفة بينه وبين أحاديث النهي، فإنه محمول

على أنه كان يصله بيوم الخميس. وقال العيني: لا دلالة في حديث ابن مسعود وما في معناه أنه ﷺ صام يوم الجمعة وحده، فنهيه عن صوم يوم الجمعة في أحاديث النهي يدل على أن صومه يوم الجمعة لم يكن في يوم الجمعة وحده، بل إنما كان بيوم قبله أو بيوم بعده، وذلك لأنه لا يجوز أن يحمل فعله على مخالفة أمره إلا بنص صحيح صريح، فحينئذ يكون نسخا أو تخصيصا وكل واحد منهما منتف - انتهى. وقال ابن القيم يتعين حمل حديث ابن مسعود إن كان صحيحا على صومه مع ما قبله أو بعده. قلت: وأرجح الأقوال عندي: قول من ذهب إلى تحريم إفراد يوم الجمعة بالصيام لما قد صح النهي عنه، والأصل في النهي التحريم، والله تعالى أعلم.

واختلف في وجه تحريم تخصيصه بالصوم. قال الشاه ولي الله: السرفيه: أي في النهي عنه شيئان، أحدهما سد التعمق، لأن الشارع لما خصه أي من بين الأيام بطاعات وبين فضله، كان مظنة أن يتعمق المتعمقون فيلحقون بها صوم ذلك اليوم أى ابتداعا من عند أنفسهم، فمنعوا سدا للباب. قال وثانيهما تحقيق معنى العيد، فإن العيد يشعر بالفرح واستيفاء اللذة، والسر في جعله عيدا أن يتصور عندهم أنها من الاجتماعات التى يرغبون فيها من طبائعهم من غير قسر - انتهى.

وقال الحافظ: اختلف في سبب النهي عن إفراده على أقوال: أحدها لكونه يوم عيد، والعيد لا يصام، ففي الحديث الصحيح أن النبى ﷺ قال إن هذا يوم جعله الله عيدا، وروى النسائي من حديث أبى سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال لا صيام يوم عيد. واستشكل التعليل بذلك بوقوع الإذن من الشارع بصومه مع غيره. وأجاب ابن القيم وغيره بأن شبهه بالعيد لا يستلزم استواءه معه من كل جهة، ومن صام معه غيره انتفت عنه صورة التحري بالصوم . ثانيها لئلا يضعف عن إقامة وظائف الجمعة من الغسل والتبكير إلى الصلاة وانتظارها واستماع الخطبة وإكثار الذكر بعدها، وهذا اختاره النووي. وتعقب ببقاء المعنى المذكور مع صوم غيره معه. وأجاب بأنه يحصل له بفضيلة الصوم الذي قبله أو بعده ما يجبر ما قد يحصل من فتور أو تقصير في وظائف يوم الجمعة بسبب صومه. قال الحافظ: وفيه نظر فإن الجبر لا ينحصر في الصوم، بل يحصل بجميع أفعال الخير فيلزم منه جواز إفراده لمن عمل فيه خيرا كثيرا يقوم مقام صيام يوم قبله أو بعده كمن أعتق فيه رقبة مثلا ولا قائلا بذلك، وأيضا فكان النهي

يختص بمن يخشى عليه الضعف، لا من يتحقق القوة، ويمكن الجواب عن هذا بأن المظنة أقيمت مقام المئنة كما في جواز الفطر في السفر لمن لم يشق عليه.

ثالثها خوف المبالغة في تعظيمه فيفتتن به كما افتتن اليهود بالسبت، قال الحافظ: وهو منتقض بثبوت تعظيمه بغير الصيام، وأيضا فاليهود لا يعظمون السبت بالصيام، فلو كان الملحوظ ترك موافقتهم لتحتم صومه، لأنهم لا يصومونه، وقد روى النسائي وأبوداود وصححه ابن حبان من حديث أم سلمة أن النبى ﷺ كان يصوم من الأيام السبت والأحد، وكان يقول أنهما يوما عيد للمشركين، فأحب أن أخالفهم. رابعها خوف اعتقاد وجوبه. قال الحافظ: وهو منتقض بصوم الاثنين والخميس، وسيأتي ذكر ما ورد فيهما. خامسها خشية أن يفرض عليهم كما خشي ﷺ من قيامهم الليل ذلك. قال المهلب: وهو منتقض بإجازة صومه مع غيره، وبأنه لو كان كذلك لجاز بعده ﷺ لارتفاع السبب. سادسها مخالفة النصارى لأنه يجب عليهم صومه، ونحن مأمورون بمخالفتهم. قال الحافظ: وهو ضعيف ولم يبين وجه الضعف.

قال: وأقوى الأقوال وأولاها بالصواب أولها، وورد فيه صريحا حديثان، أحدهما رواه أحمد (ج٢ ص ٢٠٣) وابن خزيمة والبخاري في التاريخ الكبير والبزار والحاكم (ج١ ص ٤٣٧) من طريق عامر بن لدين عن أبي هريرة مرفوعا يوم الجمعة يوم عيد، فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده. والثاني رواه ابن أبي شيبة بإسناد حسن عن علي قال من كان منكم متطوعا من الشهر فليصم يوم الخميس، ولا يصم يوم الجمعة، فإنه يوم طعام وشراب وذكر - انتهى. (متفق عليه) واللفظ لمسلم وأخرجه أيضا أحمد والترمذي وأبوداود والنسائي في الكبرى وابن ماجه وابن خزيمة والحاكم (ج١ ص٤٣٧) والبيهقي (ج٤ ص ٣٠٢) وفي الباب عن جابر عن الشيخين والنسائى وابن ماجه وعن ابن عباس عند أحمد وعن بشير بن الخصاصية عند أحمد والطبراني وعن جنادة الأزدي عند أحمد والنسائى والحاكم، وعن أبي الدرداء عند النسائي والطبراني وعن عبد الله بن عمرو، عند النسائي، وعن جويرية عند أحمد والبخاري وأبي داود.

(مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٧/٣٨٢-٣٨٥)
من مطبوعات الجامعة السلفية

***

الفقه الإسلامي

صيام عاشوراء

الشيخ محمد أسلم المباركفوري
المدرس بالجامعة السلفية، بنارس

عاشوراء ، في اللغة والاصطلاح:

عاشوراء – بالمد – على المشهور، وحكي قصره، ويقال: عشوراء – بحذف الألف – وهو في الأصل صفة لليلة العاشر، لأنه مأخوذ من العشر، وهو بعد التسع. (الصحاح: ٧٠٦)

وفي الاصطلاح: هو اليوم العاشر من المحرم. (المغني ٤ / ٤٤١)

فضل صوم يوم عاشوراء:

حث النبي صلى الله عليه وسلم أمته على صيام يوم عاشوراء حتى أمرهم بصيامه. فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بصيام يوم عاشوراء ويحثنا عليه ويتعاهدنا عنده. (أخرجه مسلم ٨ / ٨) وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بصوم عاشوراء: يوم العاشر. (الترمذي: ٧٥٥ وصححه الألباني) ولم يكن هذا الأمر منه صلى الله عليه وسلم إلا لفضله وأهميته. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى صيامه، كمارواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى صيام يومٍ فضّله على غيره إلا هذا اليوم عاشوراء، وهذا الشهر يعني رمضان. (أخرجه الشيخان كما في اللؤلؤ والمرجان: ٦٩٤)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله الذي تدعونه المحرم. (الدارمي: ١٧٥٧)، وأخرجه مسلم: (٨ / ٥٥) عنه، ولفظه: أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم.

ووجه كونه أفضل الصيام بعد شهر رمضان أنه يكفر السنة التي قبله. فعن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: صيام يوم عاشوراء إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله. (مسلم: ٨ / ٥٠)

وفي رواية: صوم يوم عاشوراء يكفر السنة الماضية. (مسلم ٨ / ٥١)

معناه: يكفر ذنوب صائمه في السنة، والمراد بها: الصغائر. إن لم تكن صغائر يرجى التخفيف من الكبائر فإن لم يكن رفعت درجات. قاله النووي في شرح مسلم (٨ / ٥١) وانظر: الموسوعة الفقهية ٢٨ / ٩٠، ٢٩ / ٢٢٠.

وإذا كان صوم عاشوراء بهذه المكانة والفضيلة فلماذا كان صلى الله عليه وسلم يكثر صوم شعبان حتى يصله برمضان؟ فقد أجاب عنه الإمام النووي – رحمه الله – فقال: لعله صلى الله عليه وسلم إنما علم فضل صوم عاشوراء في آخر حياته قبل التمكن في صومه، أو كان صلى الله عليه وسلم يعرض فيه أعذار في سفر أو مرض أو غيرها. (شرح النووي على مسلم ٨ / ٣٧، ٥٥) تمنع من إكثار الصوم فيه.

وأما ما ورد في فضله عند أبي داود (٢٤٤٧) فهوحديث ضعيف، لضعف راويه عبدالرحمن بن مسلمة. وضعفه العلامة الألباني في ضعيف أبي داود (٥٢٩).

حكم صوم عاشوراء:

كان واجبا لورود الأمر به. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أمر النبي صلى الله عليه وسلم بصوم عاشوراء: يوم العاشر. (الترمذي : ٧٥٥ وصححه الألباني في صحيح الترمذي: ٦٠٣) والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، تدل بمجموعها على أنه كان واجبا في أول الأمر لثبوت الأمر بصومه، كما قال الحافظ في الفتح (٤/ ٢٤٧) وكان صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية كماتصومه قريش في الجاهلية.

روى الإمام البخاري (١٨٩٣) ومسلم (٨ / ٤) عن عائشة رضي الله عنها قالت : "كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه، فلما هاجر إلى المدينة صامه وأمر بصيامه".

ونحوه عن ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه مسلم (٨ / ٦)

ويتأكد وجوبه بما رواه البخاري (١٩٦٠) ومسلم (٨ / ١٣ – ١٤) عن الربيّع بنت معوذ بن عفراء قالت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التي حول المدينة: من كان أصبح صائما فليتم صومه، ومن كان أصبح مفطرا فليتم بقية صومه. فكنا بعد ذلك نصوم ونصوّم صبياننا الصغار منهم – إن شاء الله – ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام

أعطيناها إياه عند الافطار. وفي رواية له: أعطيناهم اللعبة تلهيهم حتى يتموا صومهم. وروى النسائي (٣٢٢ وصححه الألباني) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم عاشوراء: أمنكم أحد أكل اليوم؟ فقالوا: منا من صام، ومنا من لم يصم. قال: فأتموا بقية يومكم وابعثوا إلى أهل العروض فليتموا بقية يومهم.

العروض – بفتح العين – يطلق على مكة والمدينة وماحولهما. قاله السندي في حاشيته على النسائي (٤ / ١٩٢).

ولكن هذا الوجوب كان قبل أن يفرض صوم رمضان. فلما فرض الله سبحانه وتعالى صوم رمضان أصبح صوم عاشوراء مستحبا، مرغوبا فيه ومندوبا إليه. تقول عائشة رضي الله عنها: "فلما فرض رمضان كان هو الفريضة وترك عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاء تركه. (أخرجه البخاري ٢٠٠٢، ومسلم ٨ / ٤ – ٥) وفي رواية عنها: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بصيامه قبل أن يفرض رمضان، فلما فرض رمضان كان من شاء صام يوم عاشوراء، ومن شاء أفطر. (أخرجه مسلم ٨ / ٥)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن أهل الجاهلية كانوا يصومون يوم عاشوراء، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم صامه والمسلمون قبل أن يفترض رمضان. فلما افترض رمضان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن عاشوراء يوم من أيام الله تعالى، فمن شاء صامه ومن شاء تركه (أخرجه مسلم ٨ / ٦).

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: دخل الأشعث بن قيس على عبد الله (وهو ابن مسعود) وهو يتغدى، فقال: يا أبا محمد، ادن إلى الغداء، فقال: أليس اليوم يوم عاشوراء؟ قال: وهل تدري ما يوم عاشوراء؟ قال: وما هو؟ قال: إنما هو يوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه قبل أن ينزل شهر رمضان، فلما نزل شهر رمضان ترك. (أخرجه مسلم ٨ / ٧)

ظاهر الروايات المذكورة يدل على أنه كان فرضا، ثم نسخ وجوبه بوجوب صوم شهر رمضان كما يقول الإمام النووي رحمه الله :

"الحاصل من مجموع الروايات أن صوم عاشوراء كانت الجاهلية من كفار قريش وغيرهم واليهود يصومونه. وجاء الإسلام بصيامه متأكدا، ثم بقي صومه أخف من ذلك التأكد، والله أعلم". (شرح النووي على مسلم ٨ / ٩ – ١٠)

فهو سنة مستحبة الآن، ولذلك اتفق العلماء على أن صومه اليوم سنة، ليس بواجب. وهذا الاتفاق حكاه النووي في شرحه على مسلم (٨ / ٤) وقال فيه (٨ / ٥) أيضا: "والعلماء مجمعون على استحبابه" ا هـ. وحكاه أيضا الزرقاني في شرح الموطأ (٢ / ٢٣٣) وغيرهما .

وقال الترمذي: لا يرى أهل العلم صيام يوم عاشوراء واجبا إلا من رغب في صيامه لما ذكر فيه من الفضل. (سنن الترمذي ٢ / ١١٢) وقال الإمام أحمد: أعجب إليّ أن أصوم عاشوراء وعرفة لفضيلتهما. (مسائل الإمام أحمد: ٧١٠ برواية الكوسج)

تعظيم قريش واليهود لعاشوراء وموقف الإسلام منه:

ذكرنا آنفا أن قريشا كانت تصوم عاشوراء في الجاهلية. وكان النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة رأى أن اليهود أيضا يصومونه ويعظمونه ويتخذونه عيدا. كما رواه طارق بن شهاب عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: كان يوم عاشوراء يوما تعظمه اليهود وتتخذه عيدا. (أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم ٨ / ١٠)

وفي رواية عنه: كان أهل خيبر يصومون يوم عاشوراء يتخذونه عيدا، ويلبسون نساءهم فيه حليهم وشارَتَهم (أخرجه مسلم ٨ / ١٠).

قال النووي: الشارة – بالشين المعجمة، بلا همز – وهي الهيئة الحسنة والجمال، أي: يلبسونهن لباسهم الحسن الجميل.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل إليه شيء، فلذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بصيام يوم عاشوراء كما في رواية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وفيها: "فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فصوموه أنتم". (أخرجه مسلم ٨ / ١٠) وفي حديث عائشة المتقدم ذكره أن النبي صلى الله عليه وسلم صامه وأمر بصيامه. وعن بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم عاشوراء . (أخرجه النسائي: ٢٣٧٤ وصححه الألباني) أمره صلى الله عليه وسلم بصيامه مع أن خبر اليهود غير معتبر وغير مقبول، إنما كان بوحي أو تواتر أو اجتهاد لا بمجرد إخبارهم. قال المازري: "خبر اليهود غير مقبول، فيحتمل أن النبي صلى الله عليه وسلم أوحي إليه بصدقهم فيما قالوه أو تواتر عنده النقل بذلك حتى حصل له العلم به". (انظر: شرح النووي على مسلم ٨ / ١١)

لماذا تصومه قريش؟

جاء في المجلس الثالث من مجالس الباغندي الكبير عن عكرمة أنه سئل عن صوم قريش عاشوراء، فقال: أذنبت قريش في الجاهلية، فعظم في صدورهم، فقيل لهم: صوموا عاشوراء يكفره. (شرح الزرقاني على الموطأ : ٢ / ٢٣٢ – ٢٣٣)

لماذا تصومه اليهود؟

تصومه اليهود تعظيما. وسبب ذلك أن الله سبحانه وتعالى أظهر فيه موسى – عليه الصلاة والسلام – وقومه بني إسرائيل على فرعون الملك الظالم الذي كان من أمره أنه يسومهم سوء العذاب، يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم، كما ذكر سبحانه وتعالى في محكم تنزيله غير مرة.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة، فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرّق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرا، فنحن نصومه .... .

لماذا يصومه المسلمون؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فنحن أحق وأولى بموسى منكم، فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر بصيامه. (أخرجه مسلم ٨ / ٩ – ١٠)

ماهو يوم عاشوراء؟

اختلف أهل العلم في يوم عاشوراء أي يوم هو؟

قال الترمذي: فقال بعضهم: هو يوم التاسع. وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنه.

وقال بعضهم: يوم العاشر. (سنن الترمذي ٢ / ١١٣) وعليه الأكثرون. وبه قال سعيد بن المسيب، والحسن البصري، ومالك، وأحمد، وإسحاق بن راهويه . (المغني ٤ / ٤٤١، وشرح النووي على مسلم ٨ / ١٢، وشرح الزرقاني على الموطأ ٢ / ٢٣٢) .

وهذا هو الراجح، الذي تدل عليه الأحاديث كلها. وهو مقتضى اللفظ والتسمية.

قال القرطبي: عاشوراء مصدر معدول عن عاشر للمبالغة والتعظيم. وهو في الأصل صفة لليلة العاشرة، لأنه مأخوذ من العشر الذي هو اسم العقد. (شرح الزرقاني على الموطأ ٢ / ٢٣٢)

وأما ما ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عاشوراء هو تاسع المحرم، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم التاسع كما روى مسلم (٨ / ١١) عن الحكم بن الأعرج أنه قال: انتهيت إلى ابن عباس رضي الله عنهما وهو متوسط رداءه في زمزم ، فقلت له: أخبرني عن صوم عاشوراء فقال: إذا رأيت هلال المحرم فاعدد وأصبح يوم التاسع صائما، قلت: هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه؟ قال: نعم.

فليس معناه أنه يرى أن عاشوراء هو اليوم التاسع من شهر الله المحرم، بل معناه أنه رضي الله عنه أخبره عما أراد النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم فعله في العام المقبل من ضم التاسع إلى العاشر، وليس فيه إشارة إلى أن اليوم العاشر من المحرم ليس يعد من عاشوراء فأخبره عما تمناه النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه صلى الله عليه وسلم قال: لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع. (أخرجه مسلم ٨ / ١٣) ولم يأت العالم المقبل حتى لحق بالرفيق الأعلى – صلوات ربي وسلامه عليه –وفيما تقدم يقول الإمام البيهقي: وكأنه رضي الله تعالى عنه أراد صومه مع العاشر، وأراد بقوله في الجواب "نعم" ما روي من عزمه صلى الله عليه وسلم على صومه. (السنن الكبرى ٤ / ٢٨٧)

ويقول العلامة ابن القيم رحمه الله:

قوله: "ثم أصبح يوم التاسع صائما" ... الخ، والصحيح أن المراد صوم التاسع مع العاشر، لا نقل اليوم لما روى أحمد في مسنده من حديث ابن عباس يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خالفوا اليهود، صوموا يوما قبله أو يوما بعده". وقال عطاء عن ابن عباس وصوموا التاسع والعاشر وخالفوا اليهود. ذكره البيهقي: وهو يبين أن قول ابن عباس: إذا رأيت هلال المحرم فاعدد، فإذا كان يوم التاسع أصبح صائما، أنه ليس المراد به: أن عاشوراء هو التاسع، بل أَمَره أن يصوم التاسع قبل عاشوراء.

فإن قيل: ففي آخر الحديث: "قيل: كذلك كان يصومه محمد صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، تدل على أن المراد به نقل الصوم لا صوم يوم قبله.

قيل له: قد صرح ابن عباس بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع" فدل على أن الذي كان يصوم هو العاشر. وابن عباس راوي الحديثين معاً، فقوله: "هكذا كان يصومه محمد" أراد به – والله أعلم – قوله: "لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع" عزم عليه، وأخبره أنه يصومه إن بقي. قال ابن عباس: "هكذا كان يصومه" وصدق رضي الله عنه هكذا كان يصومه لو بقي، فتوافقت الروايات عن ابن عباس. وعلم أن المخالفة المشار إليها بترك إفراده، بل يصام يوم قبله أو يوم بعده، ويدل عليه أن في رواية الإمام أحمد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع يعني يصوم عاشوراء، وخالفوا اليهود، فصوموا قبله يوما وبعدها يوما، فذكر هذا عقب قوله "لأصومن التاسع" يبين مراده، وبالله التوفيق. ا هـ (تهذيب السنن ٣ / ٣٢٣ – ٣٢٥) وراجع: زاد المعاد ٢ / ٧٥ – ٧٦، وفتح الباري (٤ / ٢٤٦ – ٢٤٨) وجائزة الأحوذي (٢ / ١١٢).

ثم إن التأويل على أن عاشوراء هو التاسع وأنه مأخوذ من إظماء الإبل، فإن العرب تسمي اليوم الخامس من أيام الورد ربعا، وكذا باقي الأيام على هذه النسبة فيكون التاسع هو اليوم العاشر من شهر المحرم فهذا تأويل في مقابل النص فلا عبرة به. وحديث ابن عباس رضي الله عنهما يرده، لأنه قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم عاشوراء: يوم العاشر كما رواه الترمذي (٧٥٥) وصححه الألباني.

وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس المروي في صحيح مسلم (٨ / ١٢): فإذا كان العام المقبل – إن شاء الله – صمنا اليوم التاسع. ففيه تصريح بأن الذي يصومه ليس هو التاسع، بل هو العاشر من المحرم، والتاسع لم يبلغه، ولو بلغه لصامه مع العاشر.

فإذا ثبت هذا فإنه يستحب صوم التاسع والعاشر، مخالفة لليهود فإنهم لا يصومون إلا العاشر من المحرم. وقد أمرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بمخالفة اليهود، فقال: خالفوا اليهود، وصوموا التاسع والعاشر. (أخرجه عبد الرزاق في مصنفه: ٧٨٣٩ بسند صحيح).

ورواه الإمام البيهقي بلفظ "صوموا التاسع والعاشر، وخالفوا اليهود". (السنن الكبرى ٤ / ٢٨٧).

وإلى هذا ذهب الإمام أحمد بن حنبل ، ونص عليه فيما رواه منصور الكوسج، فإنه سأله فقال: عاشوراء يوم التاسع أو العاشر؟ فقال الإمام أحمد: يصوم يوم التاسع والعاشر، لمخالفة اليهود، فإنهم يصومون (يوما) واحدا، وبه قال إسحاق بن راهويه. (مسائل الإمام أحمد: ٦٨٨) ومالك (الرسالة الفقهية لابن أبي زيد القيرواني ص: ٦٥٦) والشافعي (وكفاية الأخيار ١ / ٣٢٨) وآخرون كما قال الإمام النووي في شرح مسلم (٨ / ١٢) والعظيم آبادي في عون المعبود (٢ / ٣٠٢ طبعة هندية) وعليه أكثر الأحاديث كما قال العلامة ابن قيم الجوزية في زاد المعاد (٢ / ٧٦) وجعله هو والحافظ ابن حجر في المرتبة الثانية من مراتب صوم عاشوراء الثلاثة. (فتح الباري ٣ / ٢٤٦) وجعله الشيخ العلامة عبيد الله الرحماني المباركفوري أفضل المراتب وأعلاها حيث قال في كتابه "مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٧ / ٤٧) ما نصه: "وعندي مراتب صوم عاشوراء الثلاث هكذا : أدناها أن يصوم العاشر فقط، وفوقه: أن يصوم الحادي عشر معه، وفوقه: أن يصوم التاسع والعاشر. وإنما جعلت هذه فوق المرتبتين الأوليين لكثرة الأحاديث فيها". اهـ

وأما إفراد يوم عاشوراء بالصوم فهو مكروه للتشبه باليهود. قاله العظيم آبادي في عون المعبود (٢ / ٣٠٣) نقلا عن ابن الهمام – رحمهما الله تعالى – .

وأما صوم الحادي عشر والتاسع معه الذي جعله ابن القيم والحافظ والشوكاني والشيخ عبد الحق الدهلوي – رحمهم الله – أعلى المراتب وأفضلها بدليل رواه الإمام أحمد في مسنده (١ / ٢٤١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما المرفوع بلفظ: "صوموا يوما قبله وبعده" فالاستدلال به على كون الصوم في التاسع والحادي عشر مع العاشر (أي الجمع بين الثلاثة) فيه نظر، كما ذكره العلامة المباركفوري الرحماني في المرعاة (٧ / ٤٧) ووجه ذلك: أن الذي وقع في مسند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (١ / ٢٤١ - طبعة الحلبي) "صوموا قبله يوما أو بعده يوما" أي: بحرف "أو" للشك، لا بالواو، وهكذا وقع في طبعة دار المعارف بشرح الشيخ أحمد شاكر (٤ / ٢١) وكذا نقله الحافظ في الفتح (٤ / ٢٤٥) وكذا وقع عند الإمام ابن خزيمة في صحيحه (٢٠٩٥)، والإمام البيهقي في سننه الكبرى (٤ / ٢٨٧) من رواية علي بن محمد المقرئ

عن الحسن بن محمد عن يوسف بن يعقوب القاضي عن أبي الربيع عن هشيم عن ابن أبي ليلى. وكذا رواه الإمام الطحاوي (١ / ٣٣٨) من وجه آخر.

ورواه الإمام الحميدي في مسنده (٤٨٥) ومن طريقه الإمام البيهقي (٤ / ٢٨٧) عن سفيان بن عيينة عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى بلفظ: لئن بقيت لآمرن بصيام يوم قبله أو يوم بعده عاشوراء. وبهذا اللفظ أخرجه ابن عدي في الكامل (٣ / ٩٥٦) من طريق عباس بن يزيد البَحْراني – بالموحدة والمهملة، صدوق يخطئ – عن سفيان بن عيينة عن ابن حي (صالح) عن داود بن علي ، به. وأخرجه ابن عدي (٣ / ٩٩٦) من طريق الحارث بن النعمان بن سالم (ضعيف، التقريب (ص ١٤٨ / ١٠٥٢) عن سفيان – وهو الثوري – عن داود بن علي به مختصرا بلفظ: "صوموا عاشوراء".

ثم إن هذه الرواية (أي: رواية الجمع بين الثلاثة) ضعيفة من وجوه:

١ – داود بن علي – وهو ابن عبد الله بن عباس الهاشمي – فقد ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: "يخطئ" وقال الذهبي في ميزان الاعتدال (٢ / ١٣، الترجمة: ٢٦٣٣) "ليس بحجة". وقال عنه الحافظ العسقلاني في تقريب التهذيب (ص١٩٩ / ١٨٠٢) "مقبول" أي: عند المتابعة، وإلا فليّن الحديث.

٢ – ابن أبي ليلى، اسمه: محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، الأنصاري، الكوفي، أبوعبد الرحمن، صدوق، سيئ الحفظ جدا، قاله الحافظ في تقريب التهذيب (ص ٤٩٣ / ٦٠٨١).

٣ – وقوع الشك من الراوي، يدل على عدم ضبطه.

٤ – مخالفة داود بن علي وتفرده فيه.

والمخالفة من الأسباب التي يرد بها الحديث.

وإنما ردت روايته عند المحدثين لأن مخالفته تشعر بعدم ضبطه. ومن خلال تتبع كتب الحديث وجدنا أن داود بن علي خالف عطاء وغيره. فقد رواه عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا بلفظ: "صوموا يوم التاسع والعاشر، وخالفوا اليهود". أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٧٨٣٩) والطحاوي في شرح معاني الآثار (٢ / ٧٨) والبيهقي (٤ / ٢٨٧) بسند صحيح.

قال البزار: وقد روي عن ابن عباس من غير وجه، ولا نعلم روى "صوموا قبله يوما وبعده" إلا داود بن علي عن أبيه عن ابن عباس تفرد بها عن النبي صلى الله عليه وسلم. (كشف الأستار ١ / ٤٩٢).

وفي هذا المعنى (أي جواز صوم يوم الحادي عشر مع التاسع) حديثان ضعيفان مرويان عن ابن عباس رضي الله عنهما. لا تقوم بهما الحجة. انظرهما في ضعيف الجامع للشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله (ص ٥١٢ / ٣٥٠٦، ص ٦٧٠ / ٤٦٤٩) والضعيفة (٤٢٩٧). فثبت بما ذكرنا أن المشروع والسنة هو صوم يوم التاسع والعاشر، لا غير، والله تعالى أعلم. قال ابن قدامة بعد أن ذكر رواية عطاء عن ابن عباس ما نصه: "إذا ثبت هذا فإنه يستحب صوم التاسع والعاشر لذلك، نص عليه أحمد وهو قول إسحاق. (المغني ٤/ ٤٤١).

وقد تقدم أن رواية عطاء عن ابن عباس ثابتة بسند صحيح.

حكمة استحباب صوم التاسع مع العاشر:

ذكر العلماء في حكمة استحباب صوم تاسوعاء مع صوم عاشوراء أوجها:

أحدها: أن المراد منه مخالفة اليهود في اقتصارهم على العاشر.

ثانيها: أن المراد به وصل يوم عاشوراء بصوم، كما نهى صلى الله عليه وسلم أن يصام يوم الجمعة وحده. أخرج البخاري في صحيحه (١٩٨٤) عن محمد بن عباد قال سألت جابرا رضي الله عنه: أنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الجمعة؟ قال: نعم، زاد غير أبي عاصم: يعني أن ينفرد بصومه.

ثالثها: الاحتياط في صوم العاشر خشية نقص الهلال ووقوع الغلط، فيكون التاسع في العدد هو العاشر في نفس الأمر. انظر: الموسوعة الفقهية (٢٨ / ٩ ، ٢٩ / ٢٢٠)

وهذا الأخير عندي فيه نظر، ولا يطمئن إليه القلب ، والله أعلم.

هذا ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

❖❖❖

العام الهجري الجديد

وقفات .. ودروس

أزهري أحمد محمود

الحمد لله تعالى المنزه عن النقصان، سبحانه وتعالى عظيم الشأن، والصلاة والسلام على نبيه محمد الطاهر وآله وصحبه أهل التقى والمآثر. وبعد:

في سنة ست عشرة من الهجرة كان ذلك القرار الميمون بمرسوم عمري طاهر يحكي طهارة ذلك الجيل الذي رباه النبي صلى الله عليه وسلم فها هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصدر أمرا أن يتعامل المسلمون بالتاريخ الهجري ويتركوا ما سواه من التواريخ، فغدا التاريخ الهجري هو التاريخ المقدم عند المسلمين، يردون إليه ويصدرون عنه.

أخي المسلم! وها نحن نقدم الخطى لنعبر عتبات عام منصرم لندخل عاما جديدا.

وما أعظم أن يدرك المسلم عظمة هذا التاريخ، ولكن هل يكفي هذا، وقد انفرط عقد النظام؟!!

أخي! كم هو مؤلم أن لا يتجاوز نظر المسلم موضع قدميه، فهذه هي جماعات المسلمين أفرادا وزرافات يحتفلون بميلاد عام هجري جديد، وهم إذ يحتفلون بذلك نسوا بأمر من أخذوا في احتفالهم هذا؟! هل كان ذلك بأمر من الله تعالى في كتابه العزيز؟ أم بأمر رسوله صلى الله عليه وسلم؟ أم هم مقتدون بصحابة النبي صلى الله عليه وسلم؟! إنه لمن الخطأ الواضح أن يقدم المسلمون على فعل ليس له أصل من كتاب ولا سنة، وهذا النبي صلى الله عليه وسلم يأمره الله تعالى أن لا يتجاوز وحيه {اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين} (الأنعام)، وقد أمر النبي

صلى الله عليه وسلم أمته بالاتباع ونهاها عن الإحداث وأن من أحدث حدثا في الدين فهو مردود عليه "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" (رواه البخاري).

أخي في الله! ألا أدلك على خير من ذلك كله، وهو خير لك في معاشك ومعادك، فسأنضح عليك من طيب النصح، فهل من طالب لأريج المسك ونفحات العطر؟!

أخي! هل تذكرت نعمة الإسلام؟ والتي فاقت كل نعمة وما أعظمه من ميلاد يوم أن بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم بدين الإسلام فأخرج العباد من الظلام إلى النور ومن الضلال إلى الهدى، قال الإمام ابن رجب: "رحم الله عباده بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم فأنقذهم من الضلال كما قال تعالى: {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} ولهذا قال الله تعالى: {ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم} فمن حصل له نصيب من دين الإسلام فقد حصل له الفضل العظيم وقد عظمت عليه نعمة الله فما أحوجه إلى القيام بشكر هذه النعمة وسؤاله دوامها والثبات عليها إلى الممات والموت عليها فبذلك تتم النعمة".

كم يمر العام الهجري على المسلمين وأكثرهم لا يتذكر هذه النعمة الجليلة، ولا يلتفت إليها إلا إذا مر عليه رأس العام الهجري الجديد، فلا يتذكر ذلك إلا تذكر الغافلين، فما أعظمها من مصيبة.

ثم أخي المسلم! وأنت تتذكر العام الهجري الجديد هل خطر ببالك ذلك المصاب العظيم والذي زلزل المدينة الطاهرة يوم حدوثه؟ وهو موت النبي صلى الله عليه وسلم، كم وكم من المسلمين لا ينتبهون لذلك، وهو الحدث الذي آذن بأول شرط من أشراط الساعة، نعم لقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم لنا كتاب الله تعالى وسنته الطاهرة ولكن فقده صلى الله عليه وسلم له وقعه الخاص على النفوس، هذا أبو الجوزاء يقول: "كان الرجل من أهل المدينة إذا أصابته مصيبة جاء أخوه فصافحه ويقول: يا عبد الله ثق بالله فإن في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة".

اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم بأن المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فإنها ... نُوَبٌ تنوب اليوم تكشف في غد
وإذا أتتك مصيبة تشجى بها ... فاذكر مصابك بالنبي محمد

أخي! كم تمر على المسلم الأعوام والحال هي هي!! لا يتغير ولا يتبدل عما هو فيه من غفلة وقسوة في القلب ومعاص بلغت عنان السماء، أوامر الرحمن معطلة وأوامر الشيطان تنفذ، انشغل الناس بالمعاصي، فإذا كان العام الهجري الجديد، قالوا: هذا هو العام الهجري الجديد، ولكن أخي المسلم! أين الجديد من أفعالك؟ أين الجديد من أقوالك؟ ألا يوجد قلب ناه يفكر فيما مضى من العمر وانصرم من الساعات؟!! قال الإمام ابن رجب: "العجب ممن عرف ربه ثم عصاه وعرف الشيطان ثم أطاعه: {أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا}. لما أهبط آدم إلى الأرض وعد العود إلى الجنة هو ومن آمن من ذريته واتبع الرسل {يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون} .. المؤمنون في دار الدنيا في سفر جهاد يجاهدون فيه النفوس والهوى، فإذا انقضى سفر الجهاد عادوا إلى وطنهم الأول الذي كانوا فيه في صلب أبيهم، تكفل الله للمجاهد في سبيله أن يرده إلى وطنه بما نال من أجر أو غنيمة".

أخي في الله! ها هي الأرض تعج بالمعاصي والذنوب وتجأر إلى الله من ذلك، وقد غاب عن القلوب الرقيب والمذكر، فكانت المصائب والويلات التي تجرع المسلم مرارتها، زلازل وفيضانات ومجاعات وحروب وكسوف بين الحين والآخر، فلا أحد يرعوي ولا مقلع عن الهوى {ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون} (الروم). قال مجاهد: "أما والله ما هو بحركم هذا ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر".

أخي! بلاء في بلاء وتمر السنين والشرور في ازدياد قال مجاهد: "إن البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة وأمسك المطر، وتقول: هذا بشؤم معصية ابن آدم"، وقال عكرمة: "دواب الأرض وهوامها حتى الخنافس والعقارب يقولون منعنا القطر بذنوب بني آدم" وقال بعض الصالحين وقد شكى إليه الناس بلاء وقع: "ما أرى ما أنتم

فيه إلا بشؤم الذنوب". وقال الإمام ابن القيم: "ومن آثار الذنوب والمعاصي أنها تحدث في الأرض أنواعا من الفساد في المياه والهواء والزروع والثمار والمساكن".

أخي المسلم! أما آن لك أن تدرك وأنت تدخل عاما هجريا جديدا، أن المعاصي والذنوب سبب من أسباب الذل والمهانة، وكم تأتي المعاصي بتسلط الأعداء والذل والصغار.

فقد كان من عامة دعاء إبراهيم بن أدهم: "اللهم انقلني من ذل المعصية إلى عز الطاعة" ومن دعاء الإمام أحمد بن حنبل "اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك".

أخي! هذه فرصة جديدة لك إن قُدر لك أن تحيا هذا العام الجديد، فليكن لك من نفسك رقيبا، فإن الله تعالى محص عليك أعمالك إن كانت خيرا أو شرا، قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه" (رواه مسلم).

أخي المسلم! هل فكرت في أن لا يرتفع لك إلا عمل صالح؟ فإن ساعات العمر محسوبة وكل يوم يمضي من حياتك ينقص به يوم من عمرك، يكتب لك فيه ما قلته من قول أو فعلته من فعل {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} (ق)، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "يكتب كل ما تكلم به من خير وشر حتى إنه ليكتب قوله: أكلت وشربت وذهبت وجئت ورأيت حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فأقر منه ما كان فيه من خير وشر وألقى سائره فذلك قوله تعالى: {يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب}.

أخي في الله! كم كان الصالحون يحرصون على إحصاء ساعات الليل والنهار وكم كانوا يشفقون أن ترفع لهم أعمال سيئة، فوا حسرة أهل الدنيا عندما فاتتهم هذه اللذة، لقد كان إبراهيم النخعي يبكي إلى امرأته يوم الخميس وتبكي إليه ويقول: "اليوم تعرض أعمالنا على الله عز وجل" وكان الضحاك يبكي آخر النهار

ويقول: "لا أدري ما رفع من عملي، يا من عمله معروض على من يعلم السر وأخفى، لا تبهرج فإن الناقد بصير".

قال الإمام ابن القيم: "إضاعة الوقت أشد من الموت لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها". وقال أيضا رحمه الله: "أعظم الربح في الدنيا أن تشغل نفسك كل وقت بما هو أولى بها وأنفع لها في معادها".

أخي المسلم! هل فكرت يوما وأنت تحاسب نفسك كم صعد لك من الأعمال الصالحة؟ من صلاة وصيام وصدقة وقراءة للقرآن وذكر لله تعالى، إنها الأيام تمر وإنه العمر ينقضي، قال صلى الله عليه وسلم: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه؟ وعن عمله فيم فعل؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه" (رواه الترمذي).

أخي المسلم! هو عمرك فلا تقضه إلا في الطاعات حتى يأتيك الموت. قال الحسن البصري رحمه الله: "إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلا دون الموت ثم قرأ: {واعبد ربك حتى يأتيك اليقين}.

أخي! كم مضى عليك من السنين؟ كم عمرت من العمر؟ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة" (رواه البخاري). وعن وهيب بن الورد قال: "إن لله ملكا ينادي في السماء كل يوم وليلة أبناء الخمسين زرع دنا حصاده، أبناء الستين هلموا إلى الحساب، أبناء السبعين ماذا قدمتم؟ وماذا أخرتم؟ أبناء الثمانين لا عذر".

أخي في الله! كم من العمر يمضي في غير طاعة الله؟! كم من الساعات تنقضي في اللهو والعبث؟! فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ" (رواه البخاري).

قال الإمام ابن الجوزي: "قد يكون الإنسان صحيحا ولا يكون متفرغا لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيا ولا يكون صحيحا، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر

ربحها في الآخرة فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملهما في معصية الله فهو المغبون، لأن الفراغ يعقبه الشغل والصحة يعقبها السقم، ولو لم يكن إلا الهرم كما قيل:

يسر الفتى طول السلامة والبقا ... فكيف ترى طول السلامة يفعل

يرد الفتى بعد اعتدال وصحة ... ينوء إذا رام القيام ويحمل

وقال الطيبي: "ضرب النبي صلى الله عليه وسلم للمكلف مثلا بالتاجر الذي له رأس مال، فهو يبتغي الربح مع سلامة رأس المال فطريقه في ذلك أن يتحرى فيمن يعامله ويلزم الصدق والحذق لئلا يغبن، فالصحة والمال رأس المال، وينبغي له أن يعامل الله بالإيمان ومجاهدة النفس وأعداء الدين ليربح خيري الدنيا والآخرة، وقريب منه قول الله تعالى: {هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم} الآيات. وعليه أن يجتنب مطاوعة النفس ومعاملة الشيطان لئلا يضيع رأس ماله مع الربح".

أخي المسلم! لقد استخلفك الله في الأرض لينظر جهاد المجاهدين في عبادته وطاعته، فيميز بين أوليائه وأعدائه، قال الإمام ابن رجب: "كم لله من لطف وحكمة في إهباط آدم إلى الأرض، لولا نزوله لما ظهر جهاد المجاهدين واجتهاد العابدين المجتهدين، ولا صعدت زفرات أنفاس التائبين ولا نزلت قطرات دموع المذنبين".

أخي! لقد أفنينا أعمارنا في حب الدنيا والتنافس في الاستزادة منها والتكاثر في اقتناء حطامها {ألهاكم التكاثر، حتى زرتم المقابر} (التكاثر)، قال الإمام ابن القيم: "وأعرض عن ذكر المتكاثر به إرادة لإطلاقه وعمومه، وإن كل ما يكاثر به العبد غيره سوى طاعة الله ورسوله وما يعود عليه بنفع معاده فهو داخل في هذا التكاثر. فالتكاثر في كل شيء من مال أو جاه أو رئاسة أو نسوة أو حديث أو علم ولا سيما إذا لم يحتج إليه، والتكاثر في الكتب والتصانيف وكثرة المسائل وتفريعها وتوليدها .. والتكاثر أن يطلب الرجل أن يكون أكثر من غيره، وهذا مذموم إلا فيما يقرب إلى الله".

أخي المسلم! تمر عليك الأشهر سريعة وكل يوم فيها يطلبك بحظه من الطاعة، فإن المسلم لا تمضي عليه ساعة من ساعات عمره إلا وهي مشغولة بطاعة مولاه تعالى، حتى أنه ليمر عليه الصيف فيذكر حال من لا ظل له أو مسكن يؤويه من حر الشمس ولفحها، أو من زمهرير الشتاء، وقبل هذا كله يذكره الصيف بشدة نار جهنم ويذكره الشتاء بزمهريرها، قال الإمام ابن رجب: "من فضائل الشتاء أنه يذكر بزمهرير جهنم ويوجب الاستعاذة منها".

أخي في الله! تلك هي حال المؤمنين الصادقين لا تمر عليهم أيام السنة، إلا وهم قد استزادوا من الصالحات وعمروا أوقاتهم بالطاعات، وإذا أردت أن تعرف أخي أحوال الصالحين فتعال معي، قدم مسافر فيما مضى على أهله فسروا به، وهناك امرأة من الصالحات فبكت وقالت: أذكرني هذا بقدومه القدوم على الله عز وجل فمن مسرور ومثبور !!

أرأيت أخي المسلم؟ ما أسعد الصالحين بمعرفة مولاهم، وما أرفع مقامهم بنهلهم من مورد الطاعات ومعين القربات، فوا حسرتاه على قوم فاتتهم هذه اللذات حتى خرجوا من دار الفناء والممات.

ألا إنما التقوى هي العز والكرم وحبك للدنيا هو الذل والسقم
وليس على عبد تقي نقيصة إذا حقق التقوى وإن حاك أو حجم

أخي المسلم! اغتنم مواسم الطاعات وأيام القربات فلا تفوتنك وأنت لاه غافل يمر عليك شهر شعبان فماذا أديت فيه من الطاعات؟ ويمر عليك شهر رمضان شهر الصبر والقرآن والقيام في أيامه الحسان، فماذا أديت فيه من الطاعات؟ وتمر عليك أشهر الحج أيام زيارة المشاعر المعظمة، فما الذي قدمته من القربات؟ وهل سكبت الدموع هنالك ونثرت بين يدي مولاك الحاجات؟ قال الإمام ابن رجب: "هذه الشهور والأعوام والليالي والأيام كلها مقادير للآجال ومواقيت للأعمال، ثم تنقضي سريعا وتمضي جميعا والذي أوجدها وابتدعها وخصها بالفضائل وأودعها باق لا يزول ودائم لا يحول

هو في جميع الأوقات إله واحد، ولأعمال عباده رقيب مشاهد فسبحان من قلب عباده في اختلاف الأوقات بين وظائف الخدم ليسبغ عليهم فيها فواضل النعم، ويعاملهم بنهاية الجود والكرم، لما انقضت الأشهر الثلاثة الكرام التي أولها الشهر الحرام وآخرها شهر الصيام أقبلت بعدها الأشهر الثلاثة أشهر الحج إلى البيت الحرام، فكما أن من صام رمضان وقامه غفر له ما تقدم من ذنبه، فمن حج البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فما يمضي من عمر المؤمن ساعة من الساعات إلا ولله فيها عليه وظيفة من وظائف الطاعات، فالمؤمن يتقلب بين هذه الوظائف ويتقرب بها إلى مولاه وهو راج خائف. المحب لا يمل من التقرب بالنوافل إلى مولاه ولا يأمل إلا قربه ورضاه، كل وقت يخليه العبد من طاعة مولاه فقد خسره وكل ساعة يغفل فيها عن ذكر الله تكون عليه يوم القيامة ترة، فوا أسفاه على زمان ضاع في غير طاعته وواحسرتاه على وقت فات في غير خدمته".

أخي المسلم! لقد انصرمت السنين وذهبت الشهور والأيام والكثيرون في غيهم وضلالهم، أخي! عجل بالرجوع إلى الله فهو نعم المرجع {ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون} (الحديد).

أخي في الله! الإنابة الإنابة .. التوبة التوبة قبل حلول الأجل وقطع الأمل، قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر" (رواه أحمد والترمذي وابن حبان)، وعن طائفة من السلف منهم عمر بن عبد العزيز في قوله تعالى: {وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب} (سبأ) قالوا: "طلبوا التوبة حين حيل بينهم وبينها".

ألسنا نرى شهوات النفوس ... تفنى وتبقى علينا الذنوب
يخاف على نفسه من يتوب ... فكيف يكن حال من لا يتوب

قال الفضيل بن عياض رحمه الله لرجل: "كم أتى عليك؟ قال ستون سنة قال له: أنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك؟! يوشك أن تبلغ فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال الفضيل: من علم أنه لله عبد وأنه إليه راجع فليعلم أنه موقوف وإنه مسؤول، فليعد للمسألة جوابا فقال له الرجل: فما الحيلة؟ قال: يسيرة قال: وما هي؟ قال تحسن فيما بقي فيغفر لك ما مضى فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت بما مضى وما بقي".

وقال الحسن البصري: "اتق الله يا ابن آدم لا يجتمع عليك خصلتان سكرة الموت وحسرة الفوت".

أخي المسلم! احذر موت الفجأة وصرعة الغفلة، فقد جاء أن بعض المتقدمين سكر ليلة فعاتبته زوجته على ترك الصلاة، فحلف بطلاقها ثلاثا لا يصلي ثلاثة أيام، فاشتد عليه فراق زوجته فاستمر على ترك الصلاة مدة الأيام الثلاثة فمات فيها على حاله وهو مصر على الخمر تارك للصلاة.

أخي في الله! أعاذني الله وإياك من الخواتم الردية، فابك أخي على نفسك كم نؤمل في هذه الدنيا حتى انقطعت بنا الآمال ؟! قال بكر المزني: "لا تزال التوبة للعبد مبسوطة ما لم تأته الرسل فإذا عاينهم انقطعت المعرفة" فردد معي أخي:

ألا للموت كأس أي كاس وأنت لكأسه لابد حاسي
إلى كم والممات إلى قريب تذكر بالممات وأنت ناسي

أخي المسلم! تذكر بانقضاء السنين انقضاء الأعمار وبزوال الليل والنهار الدنو من دار القرار وبالحر والبرد جنان ربك والنار.

قد هيأوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

وأخذ الله بقلبي وقلبك إلى سبل المراضي، وأمنني وإياك يوم ينادي المنادي.

❖❖❖

إلى القائمين بوظيفة الرسل

"الدعاة إلى الله تعالى"

الشيخ عبد الله بن عبد الحميد الأثري

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الدعوة إلى الله تعالى من أشرف الأعمال وأرفع العبادات، وهي من أعظم خصائص الأنبياء والرسل – عليهم السلام – وأبرز مهام الأولياء والأصفياء من عباد الله الصالحين، والدعاة إلى الله هم أثقل الناس حملا وأكثرهم مسؤولية، وذلك لأنهم في أشرف المراتب، وأرقى المنازل، قال تعالى: {ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين} (فصلت: ٣٣)، وكذلك الدعاة هم صفوة مختارة من رجال الأمة، إذ يستلزم قيامهم بالدعوة أن يكونوا نماذج يحتذيها الناس، وقدوة لهم في كل تصرفاتهم، فالدعاة ينبغي أن يكونوا قدوة حسنة للمجتمع الذي يعيشون فيه، تبدو في حياتهم آثار الرسالة التي يدعون الناس إليها، وترتسم في خطاهم ملامح المبادئ التي يحملونها، وإن استقامة الداعية، وقوة علاقته بربه، وحسن خلقه، مما يعكس الجوهر الحقيقي للشخصية الإسلامية، وبذلك تنجذب الأفئدة، فيكون ذلك مدعاة للإيمان والاقتداء. ومن هنا كان للاقتداء في حياة الداعية أثره الكبير في حياة الناس، وتربيتهم على الفضائل التي يدعو إليها الإسلام، وما ذلك إلا لأن القدوة نموذج إنساني يعيش ممثلا لذلك المنهج الرباني الذي جاء في القرآن والسنة، وهذا النموذج يعيش واقعا عمليا يحقق تطبيق ذلك المنهج من خلال السلوك والتصرفات التي ترى بالعين، فتترك أثرا عميقا في نفوس الناس، والأمر الذي يجعلهم يأخذون ويقبلون ما يمثله القدوة دون تردد أو ريبة.

وما أبلغ وأجمل قول أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – عندما سئلت عن خلق إمام الدعاة صلى الله عليه وسلم فقالت: "كان خلقه القرآن" (رواه مسلم)، وكأنها

بوصفها هذا قد جعلت من شخص الرسول صلى الله عليه وسلم مثلا محسوسا لما ينادي به القرآن من الأخلاق العالية والفضائل البالغة في السلوك والتعامل، وعلى هذا يكون القدوة نموذجا حيا للمبادئ التي يعتنقها، فلابد لنشر دعوة الإسلام من قدوة صالحة، ومثل أعلى تنظر إليه الأعين، وتنجذب إليه النفوس، حتى تستمد منه الفضائل وتقتبس منه كرائم الشيم، وهذا ما حدث مع الدعاة من سلفنا الصالح عندما حملوا دعوة الإسلام فإنهم كانوا يمثلونها من خلال تصرفاتهم.

وما يحققه الداعية بسلوكه وأفعاله وتمسكه بدينه، قد لا يستطيع أن يحققه بأقواله وخطبه أحيانا.

والقدوة الصالحة الذي نصب نفسه للقيام بمهمة الدعوة إلى الله يلزمه أن يتخلق بأخلاق الإسلام في كل شأن من شؤونه، وأن يأخذ جانب الحيطة والحذر في كل أفعاله وأقواله، فإن الذين يلتفون حول هذا القدوة ويحيطون به ينظرون إليه دائما نظرة الناقد الفاحص، وهم يحسبون عليه كل حركاته وسكناته، لأنه في أعين أولئك مصدر اقتداء.

والقدوة الصالحة من أهم وسائل الدعوة إلى الله تعالى بل أكثرها فاعلية، فإن كثيرا من الناس لا يعمل ولا يأخذ بكل ما يسمع حتى يرى ذلك الذي قيل له واقعا وماثلا أمامه فيزداد قناعة، وكيف لا، وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقتدي برسل الله وأنبيائه ممن تقدموه، فقال تعالى: {أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده} (الأنعام: ٩٠).

إذن ما وظيفة الرسل؟ ومن القائمون بها؟

وظيفة الرسل هي أعلى وأشرف وظيفة، بل هي أسمى وأنبل غاية في هذه الحياة، إنها الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى: {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون} (الأنبياء: ٢٥)، فكل الرسل متفقون في الدعوة إلى عبادة الله – عز وجل – وحده لا شريك له، وكل رسول أول ما يقرع به أسماع قومه الدعوة إلى عبادة الله: {يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره} (الأعراف:٥٩).

وبما أنهم قد ختموا بآخرهم وأفضلهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولن يكون بعده رسول، فيبقى أتباعه يشغلون هذه الوظيفة السامية، ويدعون إلى الله على بصيرة، كما قال عنهم الله تعالى: {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين} (يوسف: ١٠٨)، فأتباع الرسل القائمون بوظيفتهم، هم الدعاة إلى الله الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، وهم ورثة الأنبياء الذين قال فيهم الله تعالى: {ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين} (فصلت: ٣٣).

ومن هذا المنطلق يجب على من يشتغل بالدعوة إلى الله تعالى أن يتحلى بالصفات التالية:

من صفات الداعية

١ – الإخلاص في طلب العلم والبعد عن الرياء والسمعة:

ويكون ذلك باستصحاب النية الحسنة لقوله صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى ..." (متفق عليه)، فلابد – يا أخي الداعية – من النية الصالحة وإخلاص العمل إلى الله تعالى، وأن لا يكون لأحد فيه شيء، قال تعالى: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين} (البينة: ٥)، وقد قال بعض الصالحين: (العلم موقوف على العمل، والعمل موقوف على الإخلاص، والإخلاص لله يورث الفهم عن الله عز وجل).

والإخلاص في حياة الدعاة هو: أن يقصد الداعية بعمله وأقواله وأفعاله ومواعظه وجه الله تعالى وحده، لا رياء، ولا سمعة، ولا مصانعة، ولا مداهنة، ولا طلبا للعرض الزائل، ولا توخيا للمصالح والمنافع الشخصية والمطالب الدنيوية.

فبقدر ما يكون الداعية مخلصا في قوله وعمله يكون تأثيره في قلوب سامعيه.

وعلى الداعية كذلك أن يحذر كل الحذر من الرياء وطلب السمعة، فإنهما محبطان للعمل، ولا يقبل الله إلا ما كان خالصا له، وتذكر – أخي في الله – دائما حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – في الثلاثة الذين تسعر بهم النار يوم القيامة ومنهم: "رجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به – أمام الله – فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت؟ قال: تعلمت العلم وعلّمته، وقرأت فيك القرآن، قال:

كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار" (رواه مسلم). الله أكبر يا عبد الله، تأمل هذا الحديث، والله إن القلب ليرجف خوفا من أن يكون الإنسان مثل هذا الرجل، وقد كان أبو هريرة إذا حدث بهذا الحديث نشغ نشغة شديدة، وهال خارا ثم يفيق، ولما حدث به معاوية – رضي الله عنه – بكى بكاء شديدا حتى ظنوا أنه هلك.

٢ – التزود بالعلم الشرعي من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم:

العلم من أعظم المقومات للداعية، ولهذا أمر الله تعالى به وأوجبه قبل القول والعمل، فقال تعالى: {فاعلم أنه لا إله إلا الله}، وقد بوّب الإمام البخاري – رحمه الله – في "صحيحه" على هذه الآية بقوله: "باب: العلم قبل القول والعمل".

ويجب على مقتفي آثار الرسل – عليهم السلام - ، الداعي بدعوتهم أن يتزود من العلم الشرعي المنتقى من كتاب الله، والموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم كما قال صلى الله عليه وسلم: "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر" (صحيح الترمذي).

أخي الداعية! إن كنت من الذين يتبعون في دعوتهم الكتاب والسنة فهنيئا لك بشارة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" (صحيح ابن ماجه)، وإذا كان هذا في أعيان المسلمين، فما بالك بالعلماء والدعاة إلى الله؟ لا شك أن هذا في حقهم أوجب وألزم، كي يعلموا الناس أمور دينهم، وحتى لا يقولوا على الله بغير علم، والداعية إذا لم يتحصن بالعلم الشرعي والأخلاق الإسلامية، فعلى أي شيء يدعو الناس؟ وقديما قالوا: "فاقد الشيء لا يعطيه"، وأهمية تحصيل العلم الشرعي للداعية يلخصه قول الله تعالى: {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين} (يوسف: ١٠٨) وهذا العلم المبارك لن ينال إلا بالنية الصالحة، والإخلاص لله في طلبه، والصبر والمصابرة، والجلوس للعلماء، والأخذ عنهم، والرحلة في طلبه، وتفريغ القلب من مشاغل الدنيا، والعمل بذلك.

٣ – العمل بالعلم:

وهذه ثمرة العلم، فالعلم بدون عمل كالشجرة بلا ثمر، وقد حذر الله تعالى من العلم بدون عمل، فقال مخاطبا المؤمنين: {يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون} (الصف: ٢، ٣)، وضرب مثلا لمن يحمل العلم ولا ينتفع به، بالحمار الحامل للأسفار، فهو لا يستفيد منها سوى التعب والنصب، فقال سبحانه: {مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين} (الجمعة: ٥)، ثم انظر إلى اليهود الذين يعلمون ولا يعملون بعلمهم، وكيف أن الله سماهم: {المغضوب عليهم}، والنصارى يعبدون الله على جهل وبدون علم، فسماهم الله: {الضالين}، ونحن المسلمين نستعيذ بالله في كل ركعة من صلواتنا من طريق هؤلاء، ونسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم، قال تعالى: {اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين} (الفاتحة: ٦، ٧)

قال الإمام سفيان بن عيينة –رحمه الله - : (أجهل الناس من ترك ما يعلم، وأعلم الناس من عمل بما يعلم، وأفضل الناس أخشعهم الله) (الدارمي في مقدمة سننه).

وقال بعض السلف: (ثمرة العلم العمل، فإن وجده وإلا ارتحل).

واحذر أخي الداعي إلى الله! من أن يخالف قولك عملك، وإليك هذا الحديث النبوي، فاجعله دائما نصب عينيك، قال صلى الله عليه وسلم: "يجاء بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار فتندلق أقتابه – أي أمعاؤه – فيدور بها كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: يا فلان! ما شأنك؟ ألست كنت تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن الشر وآتيه" (صحيح: الترغيب والترهيب)

٤ – التركيز في الدعوة على ما ركزت عليه الرسل:

وذلك بالبدء بما بدأ به الرسل والأنبياء في دعوة الناس إلى التوحيد الخالص الذي هو حق الله على العبيد، والتركيز على هذا الموضوع الذي عني به القرآن أشد العناية، وليكن قدوتك في ذلك إمام الدعاة صلى الله عليه وسلم الذي مكث في مكة ثلاث عشرة سنة وهو يدعو الناس في مجتمعاتهم وأنديتهم ومواسم الحج إلى أن يوحدوا الله

ويتركوا جميع ما يعبد سواه، وذلك بتحقيق كلمة: (لا إله إلا الله) والاهتمام بهذا الأصل العظيم الذي هو منطلق دعوة الرسل ومحور ارتكازها، وقد ربى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على هذا التوحيد في مكة، ولم يأمرهم بالأحكام، لماذا؟ لأن تطبيق الأحكام وفرضها وتعليمها للناس يحتاج إلى قوة ودولة، والدولة تحتاج إلى رجال صادقين، يصمدون أمام الموت بأنواعه، والرجال يحتاجون إلى عقيدة خالصة، لكي يصمدوا أمام مشقات الدعوة ومتاعبها كافة، وبعد ثلاثة عشر عاما من التربية على التوحيد استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يؤسس دولته دولة الإسلام، وأن يفرض على الناس أحكام الله ويعلمهم، بل أكثر القادة الذين فتحوا البلاد، وخضع لحكمهم أكبر دولتين في عصرهم، ونشروا دعوة الإسلام في ربوع الأرض، كانوا من ثمار دار الأرقم الملكية.

ومن هذا – أخي الداعية – يجب أن نبدأ من دعوة التوحيد الخالص وترسيخه في القلوب، لكي يصمدوا أمام طواغيت العصر بمختلف أنواعها، أما نظرية التجميع وتحريك العواطف، والتكتيل على غير علم، فهو مخالف لسنة الأنبياء والرسل، ولا يأتي بنتائج لأنها طريقة مبتدعة في مفاهيمها لدعوة الرسل، ووضع المسلمين اليوم خير دليل على هذا. فإذا علمت ذلك أخي الداعية فاعمل به رحمك الله.

٥ – اتباع سبيل الحكمة في الدعوة إلى الله:

وفي هذا يقول الله تعالى: {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن} (النحل: ١٢٥).

ويقول تعالى: {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين} (يوسف: ١٠٨)

فيجب على كل من يقوم بهذه الوظيفة أن يتبع سبيل الحكمة والموعظة الحسنة، وأن يسير على ما كان عليه الرسل – عليهم السلام – في دعوة أممهم، وأن يرفق بالناس، ويلين لهم القول، ويخفض الجناح، حتى يستميل قلوبهم ويحببهم في دعوته.

نعم – أخي المسلم – إن الغيور على دينه يزعجه ويؤلمه كثرة المعاصي، والجرأة على حدود الله، والمباهاة بانتهاك المحارم، فعندما يرى الداعية هذه المخالفات فعليه أن لا ينفعل، بل يتحلى بالصبر وضبط النفس، حتى لا يخرج عن مبدأ الحكمة والرفق

بالقول بالتي هي أحسن في تغيير المنكر، ولنا في سيرة قدوة الدعاة وإمامهم صلى الله عليه وسلم كثير من هذه المواقف.

واجعل – أخي الداعية – قول الله تعالى: {ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا} (البقرة: ٢٦٩) ميزانا لدعوتك، وحكمة تسير عليها، ومن الله التوفيق.

٦ – التحلي بالصبر:

يكون ذلك بالمضي في هذا الطريق مهما كانت المصاعب، فهذا الطريق شاق وصعب، فلا تظنه مفروشا بالورد، بل هو طريق مملوء بالأذى والسخرية والاستهزاء والمخاطر، والقرآن يسرد لك ما حصل للأنبياء والرسل – عليهم السلام – في هذا السبيل، ويقص علينا قصة كل نبي مع قومه، وجاء في الخبر الصحيح أن النبي يأتي يوم ومعه الرجل والرجلان، ويأتي النبي وليس معه أحد، وكل هذا لم يضعف عزيمتهم، بل ساروا في طريقهم مبلغين رسالات ربهم، ناصحين لأممهم صابرين على أذاهم، ولهذا أمر الله تعالى إمام الدعاة وقدوتهم بالصبر وبالاقتداء بالرسل، فقال تعالى: {فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون} (الأحقاف: ٣٥)، وقال تعالى: {ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين} (الأنعام: ٣٤)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه ... " (صحيح: الترمذي).

لأن الداعية إلى الله ليس مطالبا بتحقيق نصر واقع للإسلام، فهذا أمر الله متى شاء أن يحدث حدث، لكنه مطالب ببذل جهده في هذا السبيل فحسب، لأن الرسل والأنبياء كانوا يخاطبون بذلك: {إن عليك إلا البلاغ} (الشورى: ٤٨)، وكانوا يقولون: {وما علينا إلا البلاغ المبين} (يس: ١٧).

وكذلك يجب على الداعية عدم الاستعجال في قطف ثمار الدعوة، لأن هذا لا يتناسب مع الصبر الذي يجب أن يتحلى به، بل يسعى ويعتمد على الله تعالى، ويجب عليه أن يعلم بأن أي جهد صحيح يبذل في الأمة يكون له ثمرة – بإذن الله – ولو بعد

حين، ولكن عليه الصبر مع حسن الخلق والحكمة في الدعوة كما أرشدنا ربنا فقال تعالى: {واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا} (المزمل: ١٠).

واعلم أخي الداعية بأن الصبر قرين اليقين، قال تعالى: {وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون}.

وقال شيخ الإسلام – رحمه الله - : (فلابد من هذه الثلاثة: العلم، والرفق، والصبر. العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاثة لابد أن يكون مستصحبا في هذه الأحوال) (الحسبة في الإسلام: ٨٤).

وأخيرا: يحتاج الداعية أن يتخلق بأخلاق الإسلام التي بينها الله في كتابه والنبي صلى الله عليه وسلم في سنته، ومن أهمها:

الصدق، والإخلاص، والدعوة إلى الله على بصيرة، والحلم، والرفق، واللين، والصبر، والرحمة، والعفو، والتواضع، والوفاء، والإيثار، والشجاعة، والزكاء، والأمانة، والحياء المحمود، والكرم، والتقوى، والهمة العالية، والتفاؤل، والزهد والورع، والاستقامة، والقصد والاعتدال، والثقة بالله تعالى، والتدرج في الدعوة، والبدء بالأهم فالمهم، وغيرها من الأخلاق الحميدة.

كما ينبغي له أن يبتعد عن كل ما يضاد هذه الأخلاق من الأخلاق القبيحة والمذمومة.

وكذلك ينبغي للداعية أن يكون قدوة لغيره، وأن يتجنب مسائل الشبهات، وأماكن الفتن، وأن يجعل الدنيا تحت قدميه يستخدمها ولا يخدمها، حتى يعلم الناس أنه ليس صاحب دنيا ولا طالب مكانة، وأن يتجنب التناقض بين القول والعمل.

جعلنا الله وإياكم هداة مهتدين، غير ضالين ولا مضلين، دعاة للخير متبعين سنة الأنبياء والمرسلين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❖❖❖

آداب إسلامية

أدب الأذكار

(٥) الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، دلال فور، جاركند

ومن الأذكار الواردة للقراءة بين التشهد والتسليم:

د – "اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم" [١].

ر – "رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك" [٢].

س – "اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت، ومن شر ما لم أعمل" [٣].

ص – "اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الإخلاص في الرضا والغضب وأسألك نعيما لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بالقضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، وأعوذ بك من ضراء مضرة، وفتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين" [٤].

الأذكار بعد التسليم:

يُستحب لمن فرغ من الصلاة وسلم أن يقول الأذكار التالية:

١ – إذا فرغ من السلام استغفر ثلاثا وقال: "اللهم أنت السلام، ومنك السلام، وتباركت ذا الجلال والإكرام" [٥].

---

[١] رواه النسائي: ١٣٠٢، وصححه الألباني.

[٢] رواه النسائي: ١٣٠٣، وصححه الألباني.

[٣] رواه النسائي: ٦٣، باب التعوذ في الصلاة: ١٣٠٧، وصححه الألباني.

[٤] رواه النسائي عن قيس بن عباد، ٦٢، ١٣٠٦، وصححه الألباني.

[٥] رواه مسلم عن ثوبان، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته.

٢ – "لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد" [١].

٣ – "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون" [٢].

٤ – "سبحان الله، والله أكبر، والحمد لله" ثلاثا وثلاثين، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير" [٣].

٥ – إذا فرغ من الصلاة وسلم قال: "الله أكبر" [٤].

٦ – "يقرأ المعوذتين" [٥].

٧ – "سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك" [٦].

٨ – "اللهم إني أعوذ بك من الكفر، والفقر، وعذاب القبر" [٧].

٩ – "يسبح في دبر كل صلاة عشرا، ويحمد عشرا، ويكبر عشرا" [٨].

١٠ – "يسبح في دبر صلاة الغداة مائة تسبيحة ويهلل مائة تهليلة" [٩].

١١ – إذا سلم قال: "اللهم إني أسألك علما نافعا، ورزقا طيبا، وعملا متقبلا" [١٠].

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا الذكر المذكور أعلاه إذا صلى الصبح بعد التسليم.

---

[١] رواه مسلم عن المسيب بن رافع، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته.

[٢] رواه مسلم عن أبي الزبير، باب استحباب الذكر بعد الصلاة الخ.

[٣] روه مسلم عن أبي هريرة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة الخ.

[٤] رواه النسائي عن ابن عباس، ٧٩ ، التكبير بعد تسليم الإمام (١٣٣٥) وصححه الألباني.

[٥] رواه النسائي عن عقبة بن عامر ٨٠، باب الأمر بقراءة المعوذات بعد التسليم من الصلاة ١٣٣٦، وصححه الألباني.

[٦] رواه النسائي عن عائشة ١٣٤٤ وصححه الألباني.

[٧] رواه النسائي ٩٠، باب التعوذ في دبر الصلاة ١٣٤٧ وقال الألباني: صحيح الإسناد.

[٨] رواه النسائي ٩١ ، عدد التسبيح بعد التسليم ١٣٤٨ وصححه الألباني.

[٩] رواه النسائي ٩٦، نوع آخر – ١٣٥٤ وقال الألباني: صحيح الإسناد.

[١٠] رواه ابن ماجه ٣٢، باب ما يقال بعد التسليم ٩٢٤ وقال الألباني: صحيح.

وإني إنما اعتنيت بجمع الأذكار التي تقال بعد السلام في موضع واحد ليسهل على المسلم تخيرها، وليس من أدب الإسلام النهوض من الصلاة بعد السلام على الفور دون أن يقرأ المسلم الأذكار المستحبة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد السلام.

وإني أرى كثيرا من الناس ينهضون من مصلاهم بعد السلام على الفور دون أن يقولوا الأذكار المشروعة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإن هذا العمل يخالف السنة النبوية.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقوم من مصلاه بعد الانصراف من الصلاة والسلام حتى يقول الأذكار المشروعة الواردة في ذلك، فعلى المسلمين أن يقتدوا بسنته، ويهتدوا بهديه صلى الله عليه وسلم.

ما يقرأ في الوتر:

من السنة إذا أوتر أوتر بـ "سبح اسم ربك الأعلى" في الركعة الأولى، و "قل يا أيها الكافرون" في الركعة الثانية، و "قل هو الله أحد" والمعوذتين في الثالثة.

لحديث أبي بن كعب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بـ "سبح اسم ربك الأعلى" و "قل للذين كفروا" (أي قل ياأيها الكافرون) و "الله الواحد الصمد" [١].

وفي حديث عبد العزيز بن جريج قال: سألت عائشة أم المؤمنين: بأي شيء كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فذكر معناه، قال: وفي الثالثة بـ "قل هو الله أحد" و"المعوذتين" [٢].

أذكار الوتر:

١ – يقول في قنوت الوتر قبل الركوع: "اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت". [٣]

---

[١] رواه أبوداود ٣٣٩، باب ما يقرأ في الوتر (١٤٢٣) وصححه الألباني.

[٢] رواه أبوداود ٣٣٩، باب ما يقرأ في الوتر (١٤٢٤) وصححه الألباني.

[٣] رواه أبوداود عن الحسن بن علي رضي الله عنهما ٣٤٠، باب القنوت في الوتر (١٤٢٥) وصححه الألباني.

٢ – يقول في آخر الوتر قبل الركوع: "اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك". [١]

والثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن قنوت الوتر قبل الركوع وبعده أيضا، ولكن أصح المذاهب وأقواها دليلا في ذلك هو قبل الركوع لا بعده، فيؤخذ بالأصح ويترك ما دون ذلك.

قال أبوداود: "روى عيسى بن يونس، عن سعيد بن أبي عروة، عن قتادة عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه، عن أبي بن كعب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قنت – يعني في الوتر – قبل الركوع.

قال أبوداود: "وروى عيسى بن يونس هذا الحديث أيضا عن فطر بن خليفة، عن زبيد، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه عن أبي عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله، وروى عن حفص بن غياث، عن مسعر، عن زبيد، عن سعيد بن عبدالرحمن بن أبزى، عن أبيه، عن أبي بن كعب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قنت في الوتر قبل الركوع" [٢].

وأما قنوت النازلة – وهي ما إذا نزلت بالمسلمين نازلة كعدو، وقحط، ووباء، وعطش، وضرر ظاهر في المسلمين ونحو ذلك، فيقنت بعد الركوع من الركعة الأخيرة، فعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قنت شهرا بعد الركوع في صلاة الفجر يدعو على بني عصية" [٣].

قال النووي: "مذهب الشافعي رحمه الله أن القنوت مسنون في صلاة الصبح دائما، وأما غيرها فله فيه ثلاثة أقوال: الصحيح المشهور أنه إن نزلت نازلة كعدو، وقحط، ووباء وعطش وضرر ظاهر في المسلمين ونحو ذلك قنتوا في جميع الصلوات المكتوبة وإلا فلا.

---

[١] رواه أبوداود (١٤٢٧) باب القنوت في الوتر، وصححه الألباني.

[٢] صحيح سنن أبي داود ص ٢٤٦، طبع الرياض.

[٣] رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القنوت في جميع الصلوات إذا نزلت بالمسلمين نازلة الخ.

والثاني: يقنتون في الحالين.

والثالث: لا يقنتون في الحالين، ومحل القنوت بعد رفع الرأس من الركعة الأخيرة، ويستحب رفع اليدين فيه، ولا يمسح الوجه، وقيل: لا يرفع اليد. [١]

ولم يرد في ذلك شيء من الأدعية العامة غير ما ورد في الأحاديث من الأدعية الخاصة ببعض الأشخاص والأفراد في العهد النبوي، كما روى مسلم عن أبي هريرة يقول: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه: "سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد"، ثم يقول وهو قائم: "اللهم انج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم كسني يوسف، اللهم العن لحيان ورعلا وذكوان، وعصية عصت الله ورسوله " [٢] الحديث.

الذكر بعد الوتر:

إذا سلم في الوتر قال: "سبحان الملك القدوس" [٣].

ما يقرأ في الأضحى والفطر:

يقرأ في الأولى بـ "ق والقرآن المجيد"، وفي الثانية: "اقتربت الساعة وانشق القمر" [٤].

ما يقول في الاستسقاء:

١ – "اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا، نافعا غير ضار، عاجلا غير آجل" [٥].

٢ – ويستحب أن يقول إذا استسقى: "الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، لا إله إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغا إلى حين". [٦]

---

[١] شرح صحيح مسلم: ١ / ٢٣٧، طبع الهند.

[٢] كتاب الصلاة، باب استحباب القنوت في جميع الصلوات الخ.

[٣] أبوداود عن أبي بن كعب ٣٤١، باب في الدعاء بعد الوتر (١٤٣٠) وصححه الألباني.

[٤] أبوداود ٢٥٢، باب ما يقرأ في الأضحى والفطر (١١٥٤) وصححه الألباني.

[٥] أبوداود، كتاب الصلاة ٢٦٠، باب رفع اليدين في الاستسقاء (١١٦٩) وصححه الألباني.

[٦] أبوداود، كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الاستسقاء (١١٧٣) وحسنه الألباني.

٣ - "اللهم اسق عبادك وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحي بلدك الميت" [1].

ما يفعل إذا كسفت الشمس:

يستحب للمرء إذا كسفت الشمس أن يصلي جماعة، ويدعو الله تعالى، ويكبره، ويتصدق للأحاديث الواردة في ذلك.

ما يقول في سجود القرآن:

يسن للمرء إذا مر بآية فيها سجدة أن يسجد ويقول: "سجد وجهي للذي خلقه، وشق سمعه، وبصره بحوله وقوته". [2]

(يتبع)

❖❖❖

اعتذار وتصحيح

جاء في العدد الماضي من المجلة في ص: ٥٥: ""قد صلى عليه جموع غفيرة ... بإمامة فضيلة الشيخ أحمد بن علي..." والصحيح: بإمامة فضيلة الشيخ محمد بن عبدالحميد، وهو نجل الفقيد رحمه الله. فالرجاء التكرم بالصفح والتصحيح.

(المجلة)

---

[1] أبوداود، كتاب الصلاة ٢٦٠، باب رفع اليدين في الاستسقاء (١١٧٦) وحسنه الألباني.

[2] أبوداود، كتاب الصلاة ٣٣٤، باب ما يقول إذا سجد (١٤١٤) وصححه الألباني.

دولة الصفويين ..

تاريخ من العمالة والقتل

عمر خليفة الراشد

قد مر بالعالم الإسلامي مآس تاريخية كان بعضها أشد من بعض، ومن أشد هذه المآسي ما فعله الصفويون بالمسلمين من قتل وتشريد، ولابد للمسلم أن يعرف هذا التاريخ الأسود الذي تلطخ بدماء الأبرياء من العلماء الصالحين وجميع شرائح المجتمع المسلم حتى لا ينخدع ببعض الشعارات التي يحملها أصحاب الأفكار التدميرية الذين لا يألون جهدا لتدمير مكتسبات الأمة والتعاون مع الأعداء رغم تظاهرهم بروح المقاومة والدفاع عن الأمة ولكن تاريخ أمتنا يمثل مرآة عاكسة لأعداء الأمة والمتعاونين معهم، ويؤكد لنا أن الشاه الصفوي إسماعيل أول ملوك الدولة الصفوية كان يجمع بين التعصب المذهبي والغلو والتكفير وبين الدموية، وكان من دمويته أنه نبش قبور العلماء والمشايخ السنة وأحرق عظامهم، وكان إذا قتل أميرا من الأمراء أباح زوجته وأمواله لمن يختار، وفي الأسطر القادمة فقرات من هذه الصفحات التاريخية التي ينبغي أن نعيها حتى لا تتكرر.

ينسب الصفويون إلى (الدولة الصفوية) التي حكمت إيران في الفترة من ٩٠٧ إلى ١١٤٨ هـ (١٥٠١ – ١٧٢٤م)، والتي أسسها الشاه إسماعيل الصفوي، ولقب (الصفوي) نسبة إلى الشيخ صفي الدين الأردبيلي، الذي كان يتزعّم طريقة صوفية باطنية متطرفة، تتبنى الكثير من مبادئ الباطنية.

الأسرة الصفوية

توارث أبناء هذه الأسرة زعامة الطريقة الصوفية الصفوية على النحو التالي:

١) صفي الدين الأردبيلي (ت ٧٣٥ هـ)، مؤسس الطريقة، والمقيم في أردبيل، من مدن آذربيجان.

٢) صدر الدين بن صفي الدين (ت ٧٩٤ هـ).

٣) خواجة علي بن صدر الدين (ت ٨٣٠ هـ).

٤) إبراهيم بن خواجة علي (ت ٨٥١ هـ).

٥) جنيد بن إبراهيم (ت ٨٦١ هـ)، وهو أول من أعلن تبنيه المذهب الاثناعشري.

٦) حيدر بن جنيد (ت ٨٩٣ هـ).

٧) إسماعيل بن حيدر (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م)، وهو أول ملوك الدولة الصفوية.

وقد بدأت الصفوية كحركة دينية، ذات تطلعات سياسية خفية، وأخذت توسع من اهتماماتها السياسية شيئا فشيئا، حتى انتهت إلى إقامة دولة مترامية الأطراف، على أشلاء الملايين من أبناء أهل السنة والجماعة، الذين كانوا يشكلون الأغلبية الساحقة من سكان إيران.

وقد قاد عمليات التصفية هذه الشاه إسماعيل وخلفاؤه، اعتمادا على قوة (القزلباش)، وهم طائفة من التركمان الذين اعتنقوا مبادئ هي مزيج من النصيرية والتصوف الباطني، ثم تحولوا إلى الاثناعشرية.

جرائم الدولة الصفوية

اتسمت الصفوية بجرائمها الثلاث الكبرى:

١) الإمعان في تحريف الدين الإسلامي.

٢) اعتماد منهجية العنف الدموي الشديد في نشر التشيع.

٣) إقامة التحالفات الغادرة ضد أهل السنة، وخاصة الدولة العثمانية.

المجازر ضد أهل السنة

لجأ الشاه إسماعيل وخلفاؤه من بعده إلى أسلوب (القتل العام)! وارتكاب مختلف أنواع الجرائم من حرق وتدمير وتعذيب واغتصاب، من أجل تغيير عقائد أهل البلاد من السنة، فشهدت إيران من الأعمال المروعة ما لم تشهده طوال تاريخها، حتى على يد المغول! وهذه بعض النمائج:

- مدينة تبريز: دخل إسماعيل الصفوي المدينة في ربيع عام ١٥٠١ م، واعتلى منبر المسجد الجامع وأعلن البراءة من السنة ولعن أبي بكر وعمر وعثمان .. وجرت مقتلة عظيمة في المسجد .. وكان اغتصاب الفتيات والفتيان وشق بطون النساء الحوامل وإضرام النار في أجساد القتلى أمرا معتادا في الأيام التالية .. وبلغ عدد القتلى من أهل تبريز عشرين ألفا.
- مدينة أصفهان: لقد أقدم القزلباش في أصفهان على القيام بتلك الفجائع التي تتضاءل أمامها جرائمهم في آذربيجان، فقد أصابت أضرارهم كل ما بقي في أصفهان من مساجد ومدارس وأبنية تاريخية .. واستمرت مذبحة سكان أصفهان عدة أيام متواصلة، وقتل قسم عظيم من سكان المدينة قتلا عاما، ونهبت أموال الناس، وأضرمت النيران في المزارع والحدائق.
- مدينة كازرون: أصدر الشاه إسماعيل أمرا بالقتل العام لسكان كازرون وتخريبها .. وأمر بتخريب المساجد والمدارس وما سماها (بقاع الملاحدة ومزاراتهم) ! .. وبقي على قيد الحياة من سكان المدينة من استطاع الفرار.
- مناطق الأكراد: تعرض الأكراد للقتل والاضطهاد على يد ملوك الصفويين بصورة مستمرة، ومن ذلك ما ارتكبه الشاه طهماسب بن إسماعيل (ت ١٥٧٦م) ضد أكراد (لورستان) و (كرمنشاه) .. وجرائم الشاه عباس الكبير (ت ١٦٢٩م) ضد أكراد مدينة (أورمية)، وإصداره (فرمانا) بالقضاء التام على جميع أفراد عشيرة (الموكري)، حيث قتل الآلاف من أبناء العشيرة، وأسر الآلاف من النساء والأطفال، وهجّر آلاف آخرين من مناطقهم.

التحالف مع أعداء الأمة

كان تحالف الدولة الصفوية وتعاونها مع القوى المعادية للإسلام سمة من سمات هذه الدولة:

- منذ اليوم الأول لقيام هذه الدولة الخبيثة، عملت على إضعاف الدولة العثمانية وطعنها من الخلف، بنشر الفتن المذهبية في منطقة الأناضول، مما خفف من اندفاع العثمانيين في فتوحاتهم الأوروبية.

ومن ذلك، تلك المؤامرة التي أعد لها الشاه إسماعيل وأدت إلى نشوب فتنة استمرت زهاء سنتين (٩١٥ – ٩١٧ هـ) قتل فيها الكثير من الجنود والمدنيين من مواطني الدولة العثمانية.

وهذه الفتنة وأمثالها، كانت سببا رئيسا من الأسباب التي أدت بالسلطان سليم الأول العثماني (٩١٨ – ٩٢٦ هـ / ١٥١٢ – ١٥٢٠م) لسحب جانب كبير من الجيوش العثمانية من الميدان الأوروبي والتوجه لإيران، وإلحاق هزيمة قاسية بالشاه إسماعيل في معركة (جالديران) عام ٩٢٠ هـ (١٥١٤م).

- بدأ البرتغاليون والصفويون بتبادل الرسائل (الودية) بينهما منذ اليوم الأول لوصول البرتغاليين للمياه الإسلامية. ودخل البرتغاليون إلى الخليج في سنة ٩١٢ هـ / ١٥٠٧م، أي بعد سنوات قليلة من تأسيس الدولة الصفوية، وكانوا قبل ذلك احتلوا جزيرة سوقطرة قبالة اليمن، لكنهم شعروا بعدم جدوى احتلالها لفقرها من الموارد الطبيعية، ثم حاولوا احتلال عدن، لكنهم لم يستطيعوا ذلك فرأوا أن يتجهوا شطر منافذ الخليج العربي، ومنها القطيف.

وخشي القائد البرتغالي (البوكيرك) أن يثير تحركه هذا حفيظة الشاه إسماعيل الصفوي، فأراد أن يكسب وده، ويأمن جانبه، وليخيف بهذا التقرب، عرب الخليج، فأرسل البوكيرك إلى إسماعيل رسالة فيها: "إني أقدّر لك احترامك للمسيحيين في بلادك، وأعرض عليك الأسطول والجند والأسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك في

الهند، وإذا أردت أن تنقض على بلاد العرب أو أن تهاجم مكة! ستجدني بجانبك في البحر الأحمر أمام جدة أو في عدن أو في البحرين أو في القطيف أو في البصرة، وسيجدني الشاه بجانبه على امتداد الساحل الفارسي، وسأنفذ له كل ما يريد".

وقد عقدت اتفاقية بين الشاه إسماعيل الصفوي والبوكيرك الحاكم البرتغالي في الهند، نصت على ما يلي:

- تصاحب قوة بحرية برتغالية الصفويين في حملتهم على البحرين والقطيف.
- تتعاون البرتغال مع الدولة الصفوية في إخماد ثورات بلوشستان ومكران.
- تتحد الدولتان في مواجهة الدولة العثمانية.
- تصرف حكومة إيران النظر عن جزيرة هرمز، وتوافق أن يبقى حاكمها تابعا للبرتغال.

قارن بين هذا الموقف الصفوي المخزي، وموقف (الدولة الجبرية) التي كانت تحكم الأجزاء الشرقية للجزيرة العربية، إذ تصدت هذه الدولة للاستعمار البرتغالي بكل صور البطولة والفداء، حتى سقط زعيمها السلطان مقرن بن زامل الجبري رحمه الله شهيدا عام ١٥٢١ م وهو يدافع عن البحرين.

أخذ الشاه عباس بإجراء اتصالات مع القوى الأوربية المعادية للعثمانيين لتشكيل حلف مشترك، وقدم عروضا لإسبانيا لتقاسم أراضي الدولة العثمانية!

ولم يكن هذا العرض سوى واحد من عروض كثيرة حملها سفراء إيرانيون كانوا يقطعون المسافة بين أوروبا وإيران جيئة وذهابا، ومن ذلك إرسال وفد عام ١٠٠٨هـ (١٥٩٩م) برئاسة الإنجليزي (السير أنطون شيرلي) إلى كل من البابا وإنجلترا والبندقية وفرنسا وبولندا، في الوقت الذي كانت الحرب بين الدولة العثمانية والنمسا مشتعلة الأوار.

هذه هي الصفوية .. مصطلح نختزل به كل معاني الزندقة والشعوبية والخيانة والظلم.

❖❖❖

من أخبار الجامعة السلفية

○ **حفل الترحيب بطلبة العام الدراسي الجديد:**

تم عقد حفل الترحيب بطلبة العام الدراسي الجديد (٣٥ – ١٤٣٤هـ = ١٤ – ٢٠١٣م) بمسجد الجامعة السلفية في الساعة الثانية عشرة ظهرا في يوم الأربعاء: ٤ / ١١ / ١٤٣٤ هـ = ١١ / ٩ / ٢٠١٣م برئاسة فضيلة الشيخ نعيم الدين المدني، شيخ الجامعة. بدئ الحفل بآي من الذكر الحكيم تلاها الطالب سعيد الرحمن بن حفيظ الله من السنة الثالثة للفضيلة. ثم تحدث فضيلة الشيخ محمد يونس المدني، نائب شيخ الجامعة حول آداب طلب العلم وضرورة الجد والاجتهاد واغتنام الفرص والأوقات للتحصيل العلمي. ثم تحدث فضيلة الشيخ أسعد أعظمي، رئيس تحرير مجلة صوت الأمة، وعضو هيئة التدريس بالجامعة حول ضرورة استشعار الطلاب بالآمال والأماني التي علقها بهم أولياء أمورهم، وتحصين أنفسهم بالعلم النافع والعمل الصالح، واستعدادهم لنشر العلم والدعوة في مجتمعاتهم، امتثالا لأمر الله عز وجل القائل في محكم كتابه {وما كان المؤمنون لينفروا كافة، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون}.

ثم ألقى فضيلة الشيخ نعيم الدين المدني كلمته، حث فيها الطلاب على التقيد بأنظمة الجامعة وقوانينها، وأخبرهم بأسماء الأساتذة المشرفين على الأنشطة والأعمال المتعلقة بالطلاب حتى يراجعوا إليهم في هذا الخصوص.

وقد حضر في الحفل عدد من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة إلى جانب معظم الطلاب من الأقسام المختلفة. واستمر الحفل إلى أذان الظهر.

○ **الحفلة الافتتاحية لندوة طلبة الجامعة السلفية:**

عقدت الحفلة الافتتاحية لندوة طلبة الجامعة السلفية في صباح يوم الخميس: ٥ / ١١ / ١٤٣٤ هـ = ١٢ / ٩ / ٢٠١٣ م في قاعة المحاضرات برئاسة فضيلة الشيخ نعيم الدين المدني، شيخ الجامعة، وكانت فقرات الحفلة كالتالي:

تلاوة القرآن الكريم	محمد نعيم بن رحمة الله	من السنة الأولى للفضيلة
قصيدة في الثناء على الله تعالى	دانش جمال بن اشتياق أحمد	من السنة الأولى للعالمية
قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم	معراج أحمد بن عتيق الرحمن	من السنة الأولى للعالمية
تعريف بندوة الطلبة ونشاطاتها	أسعد الرحمن بن جمال الدين	من السنة الثانية للفضيلة
كلمة باللغة العربية حول موضوع: "العلم النافع"	عزير أحمد بن نور الهدى	من السنة الأولى للفضيلة
كلمة باللغة الأردية حول موضوع: "شعور طلبة المدارس الدينية بالدونية"	عبد الله ثاقب بن مقصود عالم	من السنة الأولى للفضيلة
كلمة باللغة الهندية حول موضوع: "رحمته صلى الله عليه وسلم بالحيوانات"	محمد بن محمد إبراهيم	من السنة الثالثة للفضيلة
كلمة باللغة الانجليزية حول موضوع: "أحوال المسلمين في الهند"	زيد أحمد بن محمد شريف	من السنة الثانية للعالمية

وقد شارك في الحفل فضيلة الأمين العام للجامعة الشيخ عبد الله سعود بن عبدالوحيد أيضا, وألقى كلمة حث فيها الطلاب على الجد والاجتهاد، والالتزام بقوانين الجامعة وأنظمتها، وذكر في كلمته أن خريجي الجامعة القدامى عرفوا بنبوغهم وتفوقهم في مختلف ميادين العلم والبحث والتحقيق، ولم يصلوا إلى تلك الدرجة إلا بجهدهم بعد توفيق الله سبحانه وتعالى. فيجب على طلبة اليوم ألا يغيب عن بالهم ذلك.

وقد تحدث في الأخير فضيلة رئيس الحفل الشيخ نعيم الدين المدني، فقدم الشكر والتقدير إلى الطلاب المشاركين في الحفل بكلماتهم، وإلى أعضاء ندوة الطلبة على حسن تنظيمهم للحفل، وإلى جميع الطلبة الحضور على حضورهم وحسن استماعهم. وحثهم على تفعيل أنشطة الندوة بمشاركاتهم الفعالة وباقتراحاتهم النافعة.

- **من زوار الجامعة:**

قام فضيلة الشيخ عبد العليم عبد الرحيم فاني، الداعية والمترجم في شعبة توعية الجاليات بالدمام بالمملكة العربية السعودية بزيارة الجامعة السلفية، في أواخر شهر سبتمبر، فقام بتفقد الفصول الدراسية والمكاتب الإدارية وسكن الطلاب والمكتبة المركزية. وكذلك المباني التابعة للجامعة في مدينة بنارس، وعقد لقاءات مع الأمين العام للجامعة، ومع أساتذة الجامعة وطلابها. وألقى كلمته في مسجد الجامعة على الطلاب حثهم فيها على العناية بالعمل مع العلم، والاهتمام بالصلوات، ومحاولة الحضور في المسجد بعد الأذان فورا، حتى لا تفوت أي ركعة من الجماعة، وقد أبدى فضيلته إعجابه بما شاهد في الجامعة من اهتمام المسؤولين والمدرسين بأمور التعليم والتربية بجد وإخلاص، ورجا أن تشهد الجامعة عناية أكثر واهتماما أكبر في جميع المجالات المتعلقة بالتعليم والتربية والدعوة والبحث والنشر.

- **شبان مسيحيون زاروا الجامعة:**

قام ثلاثة من الشباب المسيحيين المنتمين إلى مختلف ولايات هندية بزيارة الجامعة السلفية ومشاهدة مبانيها والاطلاع على أمور التعليم والتربية فيها، وذلك في مساء يوم الاثنين: ٣٠ / سبتمبر ٢٠١٣م. وقد تحدثوا مع الطلبة والمدرسين حول بعض الأمور العلمية والاجتماعية والدينية.

❖❖❖